

جامعة صلاح الدين / أربيل

كلية العلوم الإسلامية / قسم الشريعة

المرحلة الثالثة

# محاضرات في العقيدة الإسلامية

- الإلهيات -

أ.د. عادل عبدالله حمد

٢٠٢٣ - ٢٠٢٤ م

## \* بانك الأسئلة \*

### \* بحوث ممهدة في العقيدة الإسلامية \*

- (١) عرف العقيدة في لغة والاصطلاح، ثم أذكر أسماء هذا العلم، موضحاً أنواع مصادره.
- (٢) سُمي الباحث في المسائل الإيمانية بأسماء مختلفة ولا اعتبارات عدة، أذكرها بالتفصيل .
- (٣) تكلم عن حالة العقائد في عهد الرسول ﷺ مع ذكر الشواهد والأدلة اللازمة بهذا الخصوص .
- (٤) تكلم عن حالة العقائد في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ مستأنساً ما تقوله بالشواهد والأدلة اللازمة بهذا الخصوص.
- (٥) اتسمت حالة العقائد في عهد الراشدين ﷺ ببقائها على ما كانت عليها في عهد الرسول ﷺ ولكنهم اختلفوا في بعض المسائل الفرعية، بين خمساً منها بشيء من التفصيل .
- (٦) رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن تقسيم أراضي سواد العراق يضر بالمجتمع ، علل ذلك .
- (٧) يُعدُّ عند الدارسين في علم أصول الدين الإمام علي ﷺ أكثر الصحابة لجوءاً إلى المناظرة والجدل، علل ذلك .
- (٨) تكلم عن حالة العقائد في عهد الأمويين، مشيراً إلى أهم النتائج المستوحاة من هذا العهد.
- (٩) تكلم عن حالة العقائد في عهد العباسيين مع ذكر الشواهد والأدلة اللازمة بهذا الخصوص، ثم وضح أهم الفروق التي تتفق المعتزلة مع الشيعة وتختلفان فيها.
- (١٠) أصبح الاعتزال هو المذهب السائد بين المذهب الكلامية، ثم أخذ بالضعف والانحسار، فما هي العوامل والأسباب التي أدت إلى سيادتهم ومن ثم انقراضهم.

### إملاء الفراغات الآتية:

- (١١) يعرف علم العقائد في الاصطلاح بأنه علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج، ودفع الشبهة، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ.
- (١٢) سُمي الباحث في المسائل الإيمانية بأسماء مختلفة، منها ( الفقه الأكبر)، وقد سماه بهذا الاسم الإمام أبو حنيفة، حيث ذكر: أن الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم، لأن الفقه في الدين أصل، والفقه في العلم فرع، وفضل الأصل على الفرع معلوم.
- (١٣) من أسماء هذا العلم (علم النظر والاستدلال) : وسمى بهذا الاسم لأنه: سمي بهذا الاسم لأنه يعتمد منهج النظر الفكري، والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات أصول العقائد التي تثبت بالنصوص الدينية.
- (١٤) إن أهم مسألة وقع الخلاف فيها، واشتد النزاع حولها في القرون الأولى كانت حول مسألة (كلام الله) هل هو أزلي قائم بذاته، أم مخلوق حادث، فسمي العلم باسم أهم مسألة فيه.
- (١٥) إن أخطر خلاف حدث بين المسلمين عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة هو اختلافهم في مسألة الخلافة.
- (١٦) قال الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ في تقرير مخالفة الله تعالى عن الحوادث: العجز: عن درك الإدراك إدراك . وقد بين الإسفراييني مراد الصديق من قوله، فقال: إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب والقياس على الخلق ، صح عندك أنه خلاف المخلوقات .
- (١٧) رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أن تقسيم أراضي سواد العراق يضر بالمجتمع، لأنه رأى إذا قسم كل أرض مفتوحة أن تجيء ذراري لا تملك شيئاً من الأرض، وأن الدولة يحتاج إلى الميزانية ما يسد الثغور ويحمي البلاد .
- (١٨) إن الصحابة الكرام ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين لم يكن يلجئون إلى البحث والنظر وممارسة الحوار والجدل إلا في مقام دعوة الخصوم وصرفهم عن عقائدهم الفاسدة .
- (١٩) إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كان أكثر الصحابة لجوءاً إلى المناظرة والجدل في العقيدة، لأنه كان من أكثر الصحابة مشاركة في توجيه الأحداث ومتابعتها ، وكان ﷺ من أبرز الصحابة الذين امتد بهم العمر إلى مرحلة دخول المجتمع الإسلامي في طور جديد خطير، ولأنه كان الشخصية الكبرى التي اتخذتها الفتنة الإسلامية لها.

- (٢٠) عرف عضد الدين الإيجي علم العقائد بأنه: هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج، ودفع الشبهة.
- (٢١) بقى حال العقائد في عهد الخلفاء الراشدين على ما كان عليه في عهد السالف عهد رسول الله ﷺ ، فلم يقع في هذه المرحلة والعهد اختلاف يذكر في مسائل العقديّة، وإنما وقع اختلاف في جملة من المسائل الفرعية الفقهية العملية.
- (٢٢) حدث تطور كبير على العقائد في عهد الأمويين، فبرزت مسائل العقدية ومشكلات كثيرة أدت إلى تمزق صف ووحدة المسلمين، فاحتدم على أثر تلك المسائل الحوار والجدال بين المسلمين، وفي هذا العهد ولأول مرة اعتمد العلماء في الاستدلال على المسائل العقديّة على منهج النظر الفكري والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات العقائد وأصول الدين بصورة عامة.
- (٢٣) إن النظر العقلي في العقائد الدينية بدأ على أيدي الجهمية والجهنية والقدرية والمعتزلة، وكان ذلك في نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني للهجرة.
- (٢٤) أهم مسألتين سببتا الخلاف والنظر في عهد الأمويين، هما مسألتا: الصفات الإلهية، ومسألة القضاء والقدر.
- (٢٥) أصبح المعتزلة هو المذهب السائد بين المذاهب الإسلامية، لالتزامه بالمنهج العقلي، واعتماده على المنطق والجدل، وحظي بتأييد السلطة السياسية ومساندتها له.
- (٢٦) أخذ المعتزلة بالضعف والانحسار، وذلك لغلوهم وأسرافهم في الاستدلال العقلي، واتخاذهم القوة وسيلة لفرض آرائهم الدينية ووجهات نظر الفكرية، ولجوؤهم إلى اضطهاد مخالفهم في المعتقد وخصوصاً أهل السنة.
- (٢٧) إن المعتزلة كانوا أكثر تجرداً واعتزازاً بأحكام العقل، فلم يحالوا التوفيق بين العقل والنقل في حال التعارض.
- (٢٨) إن الشيعة كانوا يحاولون التوفيق بين الأدلة النقلية والعقلية إن أمكن، فإذا امتنع التوفيق بينهما أولوا النقل.
- (٢٩) اختلف الفريقان (المعتزلة والشيعة) على جملة من القضايا الفكرية والمسائل العقديّة، وخصوصاً فيما يتعلق بصفات الإمام كعصمته وغيبته ورجعته.
- (٣٠) إن للأسباب والعوامل الخارجية تأثيراً كبيراً في نشوء الفرق، ومن أهمها: الاحتكاك مع الفكر الدخيل واللقاء الثقافي والحضاري.

ضع علامة الصح ( √ ) أمام العبارات الصحيحة، وعلامة الخطأ ( × ) أمام العبارات الخاطئة، ثم صحح الخاطئة منها إن وجدت.

- (٣١) الدين وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير فالسلوك والمعاملات (√).
- (٣٢) إن علم أصول الدين يعتمد منهج البحث والنظر والاستدلال العقلي وسيلة لأثبات العقائد الدينية التي تثبت بالوحي (√).
- (٣٣) إن وظيفة علم أصول الدين الرئيسية هي الاحتجاج العقلي على صحة العقائد الايمانية، ودفع الشبهة، ورد الخصوم عنها (√).
- (٣٤) تغير حال العقائد في عهد الخلفاء الراشدين على ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ، وقد وقع في هذه المرحلة والعهد اختلاف في المسائل العقديّة، ولم يقع اختلاف في المسائل الفرعية الفقهية العملية (×).
- (٣٥) بقى حال العقائد في عهد الخلفاء الراشدين على ما كان عليه في عهد السالف عهد رسول الله ﷺ ، فلم يقع في هذه المرحلة والعهد اختلاف يذكر في مسائل العقديّة ، وإنما وقع اختلاف في جملة من المسائل الفرعية الفقهية العملية (√).
- (٣٦) إن أخطر خلاف حدث بين المسلمين عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة هو اختلافهم في الخلافة (√).

- (٣٧) إن الصحابة الكرام ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين لم يكن يلجئون إلى البحث والنظر وممارسة الحوار والجدل إلا في مقام دعوة الخصوم وصرافهم عن عقائدهم الفاسدة (√).
- (٣٨) إن النظر العقلي في العقائد الدينية بدأ على أيدي الجهمية والجهنية والقدرية والمعتزلة، وكان ذلك في نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني للهجرة (√).
- (٣٩) إن النظر العقلي في العقائد الدينية بدأ على أيدي الأشاعرة والحنابلة، وكان ذلك في نهاية القرن الرابع، وبداية القرن الخامس للهجرة (×).
- (٤٠) أهم مسألتين سببتا الخلاف والنظر في عهد الأمويين، هما مسألتا: الصفات إلهية، ومسألة القضاء والقدر (√).
- (٤١) إن المعتزلة كانوا أكثر تجرداً واعتزازاً بأحكام العقل، فلم يحالوا التوفيق بين العقل والنقل في حال التعارض (√).
- (٤٢) اختلف الفريقان المعتزلة والشيعة على جملة من القضايا الفكرية والمسائل العقدية، وخصوصاً فيما يتعلق بصفات الإمام كعصمته وغيبته ورجعته (√).

### أجب عن الآتي:

- (٤٣) النزاع على الخلافة كانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نشوء الفرق الكلامية، وضحتها.
- (٤٤) الاختلاف في فهم الآيات المتشابهات كانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نشوء الفرق الكلامية، وضحتها.
- (٤٥) الاختلاف في فهم أحاديث الرسول ﷺ كانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نشوء الفرق الكلامية، وضحتها.
- (٤٦) التعرض للمسائل الغامضة كانت من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى نشوء الفرق الكلامية، بينها على غرار دراستك لها.
- (٤٧) هناك أسباب كثيرة أدت إلى نشوء الفرق الكلامية، أذكرها، ثم تحدث عن العامل الخارجي منها.
- (٤٨) يعدُّ المنهج النقلي المحض من المناهج المعتمدة في البحث والدراسة عند الفرق الكلامية، تكلم عنها.
- (٤٩) يعدُّ المنهج العقلي المحض من المناهج المعتمدة في البحث والدراسة عند الفرق الكلامية، تكلم عنها.
- (٥٠) يعدُّ المنهج الأشعري المعتدل بين المعتزلة وأهل الحديث من المناهج المعتمدة في البحث والدراسة عند الفرق الكلامية، تكلم عنها.
- (٥١) يعدُّ المنهج الذوقي (الإشراقي، الصوفي) من المناهج المعتمدة في البحث والدراسة عند الفرق الكلامية، تكلم عنها.
- (٥٢) إن للفرق الإسلامية الكلامية مناهج متعددة ومعتمدة في البحث والدراسة، أذكرها، ثم فصل قولك في المنهج المعتدل من بين تلك المذاهب.
- (٥٣) إن للفرق الإسلامية الكلامية مناهج مختلفة ومعتمدة في البحث والدراسة، أذكرها، ثم فصل قولك في المنهج الصالح المطلوب من بين تلك المذاهب.
- (٥٤) عرف الإسلام في اللغة والاصطلاح، ثم وضح الفرق بينه وبين الإيمان.
- (٥٥) اختلف العلماء في تعريف الإيمان في الاصطلاح الشرعي إلى آراء عدة، تكلم عنها موضحاً الأدلة ومناقشتها وبالتفصيل.
- (٥٦) اختلف العلماء في مسألة زيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالمعاصي على آراء مختلفة، تحدث عنها وبالتفصيل.
- (٥٧) عرف الإحسان، ثم بين مرتبتها في المصدرين الشريفين، موضحاً مفهومه في القرآن الكريم.
- (٥٨) هناك فروق عدة بينها العلماء بين الإسلام والإيمان والإحسان، أذكرها وبالتفصيل.
- (٥٩) حدد العلماء ضوابط عدة للحد الفاصل بين الكفر والإسلام وحكم التكفير أذكرها وبالتفصيل.

## إملاء الفراغات الآتية:

ضع علامة الصح (√) أمام العبارات الصحيحة، وعلامة الخطأ (×) أمام العبارات الخاطئة، ثم صحح الخاطئة منها إن وجدت.

(٦٠) إن للأسباب والعوامل الخارجية تأثيراً كبيراً في نشوء الفرق، ومن أهمها: الاحتكاك مع الفكر الدخيل واللقاء الثقافي والحضاري (√).

(٦١) فتحت الآيات المتشابهات المجال أمام المفسرين للنظر فيها وتأويل معانيها، وحاول كل فريق من الفرق الإسلامية أن يدعم وجهة نظره بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي ساعدت بطبيعتها على نشوء الفرق (√).

(٦٢) فتحت الآيات المتشابهات المجال أمام المفسرين للنظر فيها وتفويض معانيها، وحاول كل فريق من الفرق الإسلامية أن يدعم وجهة نظره بأدلة عقلية فقط التي ساعدت بطبيعتها على نشوء الفرق (×).

(٦٣) الإحسان أعلى المراتب الدين على الإطلاق، فهو في المرتبة الأولى يأتي بعده الإيمان ومن ثم الإسلام (√).

(٦٤) الإحسان أدنى المراتب الدين على الإطلاق، فهو في المرتبة الأخيرة يأتي بعده الإسلام ومن ثم الإيمان (×).

(٦٥) إن الشعوب النائية التي لم تصل إليها عقيدة الإسلام، أو وصلت إليها بصورة سيئة منفرة، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهادهم في بحثها - بمنجاة من العقاب الآخروي للكافرين، ولا يطلق عليهم اسم الكافر (√).

### \* الإلهيات \*

(٦٦) هناك أصول اتفق عليها المتكلمون على اختلاف مذاهبهم وفرقهم، بينها بالتفصيل، مشيراً إلى الحالات التي يخرج المرء من الإيمان.

(٦٧) اختلف المتكلمون فيما يعدُّ من أصول الدين ومما لا يعدُّ، موضحاً الحالات التي يخرج الإنسان من الإيمان، مستأنساً ما تقوله بالشواهد والأدلة المطلوبة بهذا الخصوص.

(٦٨) اختلف المتكلمون فيما يعدُّ من أصول الدين ومما لا يعدُّ، موضحاً الفرق بين لأصل الديني والأصل المذهبي، مستأنساً ما تقوله بالشواهد والأدلة المطلوبة بهذا الخصوص.

ضع علامة الصح (√) أمام العبارات الصحيحة، وعلامة الخطأ (×) أمام العبارات الخاطئة، ثم صحح الخاطئة منها إن وجدت.

(٦٩) انبرى العلماء لمنكري وجود الله تعالى بأدلة عقلية وافية وصريحة تثبت للعاقل على أنه تعالى علة الكون وصانعه، ومن بين تلك الأدلة دليل **الحدوث**، اشرح هذا الدليل بالتفصيل.

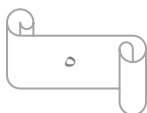
(٧٠) انبرى العلماء لمنكري وجود الله تعالى بأدلة عقلية وافية وصريحة تثبت للعاقل على أنه تعالى علة الكون وصانعه، ومن بين تلك الأدلة دليل **الوجوب**، اشرح هذا الدليل بالتفصيل.

(٧١) دليل العناية والاختراع من أجلى الأدلة على إثبات وجود الله تعالى، اثبت ذلك بالشواهد القرآنية لكل من الدليلين مع بيان تفسيرهما عند العلماء.

(٧٢) برهن العلماء بأدلة كثيرة ووافية على أن المصادفة قاعدة غير صحيحة لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات موجد الكون ومدبره، وضح ذلك معززاً ما تثبته بالأمثلة.

(٧٣) برهن العلماء بأدلة كثيرة على أن الحواس الخمس لا يمكن الاعتماد عليها في إثبات موجد الكون ومدبره، وضح ذلك معززاً ما تثبته بالأمثلة.

(٧٤) حدد القرآن الكريم أسباب الإلحاد، وصوره على أنه أمر طارئ يطرأ على الفطرة، أذكر تلك الأسباب، مستشهداً ما تقوله بالشواهد القرآنية.



- (٧٥) التسلسل من الأدلة الباطلة، لأنه يؤدي إلى وجود آلهة لا نهاية لها، كلُّ منها يتصف بالحدوث والافتقار والعجز، ولأنه مناف لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق، إذ العاجز الفقير لا يصح أن يكون خالقاً للعالم البديع الاتقان (٧).
- (٧٦) التسلسل من الأدلة الصحيحة، لأنه لا يؤدي إلى وجود آلهة كثيرة، كلُّ منها يتصف بالقدرة والإرادة، وأنه موافق لمقام الألوهية من العلم والغنى المطلق، إذ العاجز الفقير يصح أن يكون خالقاً للعالم البديع الاتقان (x).

### إملاء الفراغات الآتية:

- (٧٧) بنى المتكلمون دليل الحدوث على مقدمتين، المقدمة الأولى: العالم حادث، والمقدمة الثانية: كل حادث لا بد له من محدث، والنتيجة أن العالم لا بد له من محدث يُحدثه، أي يرجح وجوده على عدمه، وهو الله تعالى.
- (٧٨) موجد هذا الكون أما أن يكون: واجباً، أو مستحيلاً، أو ممكناً، لأن كلَّ أمر لا بد أن يتصف بواحد من الأمور الثلاثة السابقة، ولا رابع لها، لأنها أقسام الحكم العقلي.
- (٧٩) التسلسل: هو أن: يستند الممكن في وجوده إلى علة مؤثرة فيه، وتستند تلك العلة المؤثرة إلى علة أخرى مؤثرة فيها، وهلمَّ جراً إلى ما لا نهاية.
- (٨٠) التسلسل من الأدلة الباطلة، لأنه يؤدي إلى وجود آلهة لا نهاية لها، كلُّ منها يتصف بالحدوث والافتقار والعجز، ولأنه مناف لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق، إذ العاجز الفقير لا يصح أن يكون خالقاً للعالم البديع الاتقان.
- (٨١) صيغة قانون المصادفة هي: إن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص، بنسبة معكوسة مع عدد الإمكانيات المتكافئة المزدحمة، لكن تطبيق هذا القانون، إنما يتم على المادة غير الحية، فدراسة الاحتمال على ضغط، أو غاز في وعاء أو خليط من غازات قد يصح.
- (٨٢) يستطيع الإنسان أن يفهم صفات المعاني لله تعالى، ولكن من الصعب أن يفهم صفاته السلبية، لأنه لا يفهم آثارها لعدم احتفاظه بصورة لها في الحياة لخصوصيته تعالى بها، ومن بين تلك الصفات صفة القدَم، تكلم عنها، مستوفياً كلامك حول تصورك لها.
- (٨٣) يستطيع الإنسان أن يفهم صفات المعاني لله تعالى، ولكن من الصعب أن يفهم صفاته السلبية، لأنه لا يفهم آثارها لعدم احتفاظه بصورة لها في الحياة لخصوصيته تعالى بها، ومن بين تلك الصفات صفة البقاء، تكلم عنها، مستوفياً كلامك حول تصورك لها.
- (٨٤) ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصوص موهمة تضيف لله تعالى صفات خبرية، توهم التشبيه والتجسيم كالاستواء والنزول واليد ... وعلى غرار ذلك تباينت آراء المتكلمين فيها إلى أقوال عدة، أذكر ذلك بالتفصيل.
- (٨٥) من خصائص الله تعالى أنه غير مختص بجهة، وضح رأي علماء أهل السنة والجماعة فيها، ثم أذكر الأدلة النقلية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي توحى ظاهراً اختصاصه تعالى بها مع بيان تأويلها.
- (٨٦) ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصوص تضيف لله تعالى صفات خبرية توهم الجوارح، وضح رأي العلماء فيها، ثم أذكر الأدلة التي تثبت ظاهراً اختصاصه تعالى بها مع بيان تأويلها.
- (٨٧) ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة نصوص تضيف لله تعالى صفات خبرية توهم الجسمية والصورة، وضح رأي العلماء فيها، ثم أذكر الأدلة التي تثبت ظاهراً اختصاصه تعالى بها مع بيان تأويلها.
- (٨٨) من خصائصه تعالى عدم تحيزه في مكان، فكيف تفند قول الذين يثبتون له تعالى المكان، وضح ذلك بالتفصيل، ثم وضح المراد في قوله: " مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي، إِنَّمَا وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ ".

- (٨٩) من صفات الله تعالى السلبية الوجدانية التي تنفي الكم المتصل والمنفصل عنه في ذاته وصفاته وأفعاله، تحدث عن الكمين المتصل والمنفصل في ذاته بالتفصيل.
- (٩٠) من صفات الله تعالى السلبية الوجدانية التي تنفي الكم المتصل والمنفصل عنه في ذاته وصفاته وأفعاله، تحدث عن الكمين المتصل والمنفصل في صفاته بالتفصيل.
- (٩١) المخالفة للحوادث: معناه إن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقاً، فهي عبارة عن: سلب الجرمية، والعرضية، والكلية، والجزئية، ولوازماها عنه تعالى (√).
- (٩٢) المخالفة للحوادث: معناه إن الله تعالى مماثل لمخلوقاته، فهي عبارة عن: ثبوت الجرمية، والعرضية، والكلية، والجزئية، ولوازماها الله تعالى (×).
- (٩٣) اختلف الباحثون في سبب ظهور مشكلة الصفات الإلهية، وضحاها على غرار دراستك لها، ذاكراً سبب وتاريخ ظهور المشكلة، مشيراً إلى آراء العلماء بهذا الصدد.
- (٩٤) حدد المتكلمون الفرق بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا بأدلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أذكرها، مع شرح موجز للأدلة.
- (٩٥) الإرادة لا تستلزم الرضا عند أهل السنة والجماعة، ولهذا أراد الله تعالى الكفر من الكافر ولم يرضاه، فصل ذلك، ثم بين الفرق بين المشيئة والإرادة وبين المحبة والرضا بأدلة نقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مع شرح موجز لها.
- (٩٦) قال تعالى: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}، حدد العلماء من خلال هذه الآية المباركة وغيرها فوائد عدة لصفة العلم، بين تلك الفوائد بالتفصيل.
- (٩٧) من صفات المعاني لله تعالى (القدرة والحياة)، تكلم عن تلك الصفات بالتفصيل.
- (٩٨) من صفات المعاني لله تعالى (السمع والبصر والعلم)، تكلم عن تلك الصفات بالتفصيل.
- (٩٩) قال الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} فقد اختلف المتكلمون في صفة كلامه تعالى هل هو بحرف وصوت إلى آراء متباينة، وضح ذلك، على غرار مذهبي المعتزلة والأشاعرة.

### إملاء الفراغات الآتية:

- (١٠٠) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى يريد الكفر: من الكافر وشأوه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشأوه كوناً، ولا يرضاه ديناً.
- (١٠١) وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا: أن الله تعالى شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، فردوا إلى هذا، لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه.
- (١٠٢) وقالت القدرية: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدره ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.
- (١٠٣) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة: من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة، بل يحار العبد في العظمة والجلال، حتى لا يعرف نفسه، ولا يشعر بمن حوله من الخلق، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم، ويتلاهى الكل في جنب عظمة الله تعالى.
- ضع علامة الصح (√) أمام العبارات الصحيحة، وعلامة الخطأ (×) أمام العبارات الخاطئة، ثم صحح الخاطئة منها إن وجدت.
- (١٠٤) ليس المراد بالصفات السلبية، أنها مسلوبة عن الله تعالى ومنفية عنه، وإلا لزم أن يثبت لله تعالى الحدوث، وممثلة للحوادث، بل المراد بكونها سلبية: إن كل واحد سلبت (نفت) أمراً لا يليق به تعالى (√).
- (١٠٥) إن الله تعالى سميع بصفة تسمى سمع، وبصير بصفة تسمى بصراً، وعليم بعلم، وقدير بقدره، ومريد بإرادة، ومتكلم بكلام، وحي بحياة، وهذه الصفات ليست غير الذات، ولا عين الذات، بل زائدة عن الذات (√).

- (١٠٦) الصفات الأزلية ليست حادثه، لأن الله تعالى الواجب الوجود لا تقوم الحوادث بذاته (√).
- (١٠٧) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى لا يريد الكفر من الكافر ولا يشأوه، ولا يرضاه ولا يحبه، فلا يشأوه كوناً، ويرضاه ديناً (×).
- (١٠٨) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى يريد الكفر: من الكافر وشأوه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشأوه كوناً، ولا يرضاه ديناً (√).
- (١٠٩) ذهبت القدرية والمعتزلة إلى: أن الله تعالى لم يشاء الايمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر (×).
- (١١٠) قالت القدرية: ليس المعاصي محبوبه لله ولا مرضية له، فليست مقدره ولا مقضية، فهي خارجه عن مشيئته وخلقته (√).
- (١١١) ذهبت المعتزلة: إلى أن العباد مجبرون على أفعالهم الاختيارية، وأنه الله تعالى هو صانعها ومقدرها، ايجاداً ونفياً (×).
- (١١٢) وذهبت المعتزلة: إلى أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم الاختيارية، وليس لله تعالى صنع ولا تقدير فيها، لا بايجاد، ولا نفي (√).
- (١١٣) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة: من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة (√).
- (١١٤) ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة: وإن رؤيته تكون بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، وبالإحاطة (×).
- (١١٥) أثبت جمهور العلماء رؤية الله تعالى يوم القيامة من غير كيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، بين رأيهم وما استندوا إليه من الأدلة النقلية والعقلية بشيء من التفصيل.
- (١١٦) عرف القضاء والقدر، ثم بين الإيمان بالقضاء والقدر وعلاقته بالجبر.
- (١١٧) تباين أقوال الفرق الإسلامية حول الأفعال الاختيارية إلى آراء عدة، أذكر مذهب الجبرية والمعتزلة بهذا الصدد، شارحاً أدلتهم بالإيجاز.
- (١١٨) قسم العلماء أفعال العباد إلى أنواع مختلفة، وضحاها، ثم بين مذهب الأشاعرة وأدلتهم في هذا الصدد.
- (١١٩) ما هو المراد من الايمان بالقضاء والقدر؟، وهل أن الإيمان به ينافي الأخذ بالأسباب؟، وضح ذلك مستدلاً ما تقوله بأدلة.
- (١٢٠) أثبتت مسألة القضاء والقدر لِمَا رأى علماء المسلمين أن أدلة الكتاب والسنة والمعقول متعارضة بينها، فصل قولك في هذا الصدد مؤكداً ما تقوله بأدلة من المصدرين الشريفين.

### إملاء الفراغات الآتية:

- (١٢١) ذهبت الماتريدية إلى أن القضاء: هو ايجاد الله تعالى الأشياء على وجه الاحكام والاطقان، وان القدر: هو علمه تعالى أزلماً بصفات المخلوقات، أي ما تكون عليه من حسن وقبح ونفع وشر.
- (١٢٢) قسم العلماء الأفعال إلى: أفعال اضطرارية: وهي التي لا قدرة للإنسان ولا اختيار له فيها، كحركة ارتعاش اليد، وحركة الجهاز العصبي، والهضمي. وإلى أفعال اختيارية: وهي التي للإنسان فيها قدرة واختيار كالتسبير والكلام.
- (١٢٣) ذهبت الجبرية: إلى أن الإنسان: مجبر على جميع أفعاله، فهو كالريشة في مهب الريح.
- (١٢٤) وذهبت المعتزلة: إلى أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم الاختيارية، وليس لله تعالى صنع ولا تقدير فيها، لا بايجاد، ولا نفي.
- (١٢٥) ذهبت الأشاعرة إلى أن: أفعال الفرد الاختيارية مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد تأثير في ايجادها، وإن الله تعالى يخلق فيه قدرة على اصدار ذلك الفعل للعبد. فالفعل ابداع واحداث لله تعالى، وكسب للعبد. والكسب هو اقتران قدرة العبد بفعل الله.



## تعريف العقيدة

### في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف العقيدة في اللغة:

العقيدة لغة: من عقد واعتقد.

والعقيدة هي كل ما عقد الإنسان عليه، وهو بمعنى الربط، والشد، والقوة، وإحكام، ومنه الإبرام، والتَّماسك، والتَّوثيق، والتأكيد، والجزم، وكلها تسمى عقداً، ثم استعملت في التصميم، والاعتقاد الجازم.

ثانياً: تعريف العقيدة في الاصطلاح:

العقيدة اصطلاحاً: هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج، ودفع الشبهة، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد ﷺ .

### \* أسماء هذا العلم وأسبابها \*

سمي علم العقائد أو الباحث في المسائل الايمانية بأسماء مختلفة، وذلك تبعاً لأهميته في نفوس الخاصة والعامّة.

فقد أطلق أهل العلم أسماءً كثيرة على هذا العلم لتمييزه عن غيره، حتى أصبحت تلك الأسماء أعلاماً على العلم الشريف التي هي علم(العقيدة)، وقد قيل إن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، ومن أشهر أسمائها:

(١) الفقه الأكبر: وسميت بذلك تمييزاً لها عن فقه الفروع: كفقه الطهارة، والزكاة والصوم، والزواج،

والطلاق، والميراث وغيرها. قال الإمام أبو حنيفة: "الفقه في الدين أفضل من الفقه في العلم، لأن الفقه في الدين أصل، والفقه في العلم فرع، وفضل الأصل على الفرع معلوم".

(٢) علم النظر والاستدلال: سمي بهذا الاسم لأنه يعتمد منهج النظر الفكري، والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات أصول العقائد التي تثبت بالنصوص الدينية.

(٣) علم التوحيد والصفات: سمي بهذا الاسم لأن أشهر مباحثه، وأهمها خطراً، مبحثا التوحيد والصفات الالهية.

(٤) علم العقائد: سمي بهذا الاسم لأنه يتكفل ببحت العقائد الدينية، واثباتها بالأدلة اليقينية، والدفاع عنها ضد العقائد والافكار المخالفة لها.

(٥) علم الكلام : اشتهر بهذا الاسم لعدة أسباب، أهمها:

(أ) إن أهم مسألة وقع الخلاف فيها، واشتد النزاع حولها في القرون الأولى كانت حول مسألة ( كلام الله

تعالى ) هل هو أزلي قائم بذاته تعالى، أم مخلوق حادث ؟ فسمي العلم باسم أهم مسألة فيه .

(ب) أو أنه يتحقق بالمباحثة وادارة الكلام بين الجانبين، وغيره قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب.

(ج) لعل أوجه الأسباب أن أصحابه (المتكلمين) تكلموا فيما كان السلف من الصحابة والتابعين يسكتون فيه، فالكلام ضد السكوت، والمتكلمون كانوا يتكلمون حيث ينبغي الصمت اقتداءً بالسلف الذين لم يخوضوا في المسائل الاعتقادية إلاً بحد ضيق.

(٦) أصول الدين: سمي بهذا الاسم لأنه أصل المعارف الدينية لابتنائها عليه وتفرعها عنه، ولأنه يتكفل ببيان ما يعتبر من أصول الدين وأركانه التي لا يتم الايمان بدونها. وهو مقابل علم الفقه الذي يتكفل ببيان الفروع العلمية. ومقابل علم الأخلاق والتصوف الذي يعنى بجانب السلوك والأخلاق على أساس من الذوق الروحي والوجدان القلبي .

### مصادر المعرفة (علم العقيدة)

إن مصادر المعرفة في علم العقيدة نوعان:

أولاً: مصدر التلقي:

(١) القرآن الكريم.

(٢) السنة النبوية الشريفة الثابتة الصحيحة، فالرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلاً وحي يوحى .

ثانياً: مصدر الاستدلال:

(١) الحواس السليمة (السمع، والبصر، والشم، واللمس).

(٢) الخبر الصادق (المطابق للواقع)، وهو نوعان:

(أ) الخبر المتواتر، وهو الخبر الثابت على ألسنة قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب، وهو بالضرورة موجب للعلم الضروري، كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية والبلدان النائية.

(ب) خبر الرسل (عليهم السلام) المؤيد بالمعجزات، وهو يوجب العلم الاستدلالي، أي يحصل بالاستدلال والنظر في الدليل.

(٣) العقل السليم، والفطرة السليمة المستقيمة، اللذان يوافقان الأدلة المذكورة، ويدركان ضرورة النبوات، وإرسال الرسل، وضرورة البعث والجزاء وعلى الأعمال على الإجمال لا على التفصيل.

## حالة العقائد

### عند الأديان السماوية السابقة

اتضح لنا من خلال المحاضرات السابقة أن علم أصول الدين من العلوم الدينية المصطبغة بصبغة عقلية. وإن موضوعه: يتعلق بإثبات العقائد الدينية.

وإن غايته: هي إثبات المسائل الإيمانية أو العقائدية والدفاع عنها.

وأوضحنا أن هذا العلم أصل، وغيره فرع، فهو أصل لجميع علوم الدين.

ومن الجدير بالبيان أن هذا العلم كان معروفاً عند الأمم قبل الإسلام .

وكان رجال الدين والقائمون عليها يعملون ويقيمون على حفظه وتأييده ضد الأفكار المناوئة والمخالفة لهم .

وكان يلجئون في سبيل نصره أفكارهم ومعتقداتهم إلى الأدلة العقلية .

ولكن الشيء الذي يدعوا إلى التنبيه إليها أنه على الرغم من استدلالهم بالأدلة العقلية إلا أنها كانت

بصورة ضئيلة مقارنة مع ديننا الحنيف .

فقد كان منهجهم في تقرير المسائل العقائدية قائماً على أساس تفسير نصوص من الكتاب المقدس بعهديه :

( العهد القديم، والعهد الجديد) التوراة والإنجيل .

وإضافة إلى هذه الوسيلة فقد كان لهم وسيلة أخرى في الدعوة، فقد كانوا يقومون إقناع الناس بذكر

معجزات أنبيائهم أو إلهائهم بالخيالات والأساطير - الخرافية - عند الأمم السالفة .

لذا يمكن القول أن دعائم الأديان السماوية السابقة - خاصة اليهود والنصارى في مجال الدعوة - كانت

تقوم على:

(١) تفسير نصوصهم.

(٢) إقناع الناس بمعجزات الأنبياء والرسول.

أما الإسلام الحنيف: فإنه أتى بمنهج مغاير عما سبقه، أو بمعنى آخر أنه جاء بتغييرات وإضافات عما كان

عليه الأديان السماوية السابقة.

فقد جاء القرآن الكريم فنهج في بيان الدين عامة، والعقائد خاصة منهجاً لم يكن عليه ما سبقه من الكتب

المقدسة، فلم يقتصر على ذكر العقائد الدينية، ولم يطلب من الناس الإيمان بها والتسليم لها بمجرد حكايتها

وبيانها، وإنما أقام البرهان عليها.

فقد ذكر القرآن الكريم بالتفصيل عقائد المخالفين، وبين الحجة على فسادها وبطلانها.

وفي مجال الدعوة وإقناع الطرف الثاني نرى ان الإسلام يخاطب العقل:(على خلاف الأديان السابقة)

واستنهض الفكر، وعرض نظام الأكوان وما فيها من الإتيقان على انظار العقول، وطالب المخاطب اعتناقها

باليقين. فقد وردت في ذلك آيات كثيرة، نذكر منها:

(١) قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٣٠) .

(٢) وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة : ٢٢).

(٣) قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة: ١٦٤).

(٤) وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (سورة فاطر : ٣).

(٥) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأنعام : ٩٩).

(٦) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة: ٢٢).

وخلاصة القول أن القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعليم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة مقتضبة في سياق الآية.

بل القرآن الكريم ذكر العقل أو أشار إلى أهميته في كل موضوع من مواضعها، مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة.

ومما يدعو إلى الفخر والاعتزاز بهذا الدين أن القرآن الكريم ذكر في آياته أكثر من ثمانين آية تنبيه على مظاهر الخلق ونظام الكواكب ...

## \* حالة العقائد في عهد رسول الله ﷺ \*

جاء الإسلام وحارب الوثنية الجاهلية، وقرر أن الدين واحد لا يختلف من دين إلى دين، وقرر أن كلها وحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسوله.

فأصول هذه الأديان ثابتة لا يختلف من دين إلى دين، ولا يختلف فيها الرسل أو النبي (عليهم الصلاة والسلام).

أما الشرائع العملية فهي مختلفة ومتفاوتة بين الرسل والأنبياء لقوله تعالى: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}، وتلك الشرائع حق وخير ما لم تنتسخ، فإذا نسخت لم تبق خيريتها.

قال الزمخشري في قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ}.

المراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين، دون الشرائع لأنها مختلفة، وهي هدى ما لم تنتسخ، فإذا نسخت لم تبق هدى، بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً.

ومن الجدير بالذكر أن الدين الإسلامي تتألف من عنصرين اساسيين، هما: أصول، وفروع، أو بمعنى آخر: عقيدة، وشريعة.

أما العقيد فقد استوفى الله تعالى شروطها في القرآن الكريم، حيث بين الثوابت أو الكليات.

وكان الرسول ﷺ يحاور أهل الكتاب، ويجادل المشركين، ويجيب على أسئلتهم، بشرط إذا لم تظهر عليها سمة الجدل والعناد، وكان ﷺ يبين أدق مسائل العقيدة .

فتناول رسول الله ﷺ معرفة الله تعالى، ووجوده، ووحدايته، وتناول، القضاء والقدر، وبين حقيقة الروح، والبعث، والجنة، والنار، والنبوة، وحقيقة الايمان، وعلاقة الاسلام بالأديان الأخرى من خلال الآيات الكريمة

...

حكي ابن هشام أن جماعة من اليهود أتوا رسول الله ﷺ وسألوه : هذا الله خلق فمن خلق الله؟ فغضب رسول الله ﷺ حتى امتنع لونه ثم نزل قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... }.

وعندما تلا الرسول ﷺ قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}، فسأله فريق من المشركين: أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ كيف ذلك فنحن نعبد الملائكة، واليهود يعبد عزيراً، والنصارى يعبد عيسى بن مريم ... فأجاب الرسول ﷺ: {كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده}، ونزل قوله تعالى: {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ }.

وقال ابن مسعود: إني لمع رسول الله في حرث بالمدينة وهو متكئ على عصيب، فمر بنا ناس من اليهود، فقالوا: سلوه عن الروح، فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون، فأتاه نفر منهم فقالوا: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت ثم قام فأمسك بيده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه، فأنزل عليه قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}.

ولكن الرسول الكريم ﷺ لم يكن يلجأ إلى الحوار أو الجدل إلا في مقام دعوة الخصوم إلى الدين الجديد، وصرّفهم عن أباطيلهم، إذا ما تبين استعدادهم لذلك.

ومن الجدير بالبيان أن رسول الله ﷺ كان ينهى المسلمين من ممارسته بقصد تحصيل شيء من أصول الدين، ويأمرهم بالوقوف فيها عندما جاء به.

أمّا الشريعة: فقد اشتمل القرآن الكريم على مبادئها وأصولها العامة، ولكن أكثر المسائل الفرعية التي تناولها القرآن الكريم هي أحكام جزئية مجملة .

قام الرسول ﷺ ببيان تلك المبادئ والأصول ، ففسرها وبين المراد منها في أحاديثه الشريفة ﷺ .  
ومما يدعوا الإشارة إليه في هذا المقام أن رسول الله ﷺ ترك باب الاجتهاد في المسائل الفرعية الفقهية مفتوحاً ، بخلاف المسائل العقدية فقد نهى رسول ﷺ الخوض فيها، أو كرها.

لذا فقد كان الصحابة الكرام يكرهون الخوض في المسائل الأصولية بخلاف المسائل الفرعية .  
وبالجمله فقد مضى زمن النبي ﷺ والمسلمون على عقيدة واحدة هي : ما جاء في كتاب الله تعالى، لأنهم أدركوا زمان الوحي، وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك والأوهام.

## حالة العقائد

### في عهد الخلفاء الراشدين

بقى حال العقائد في عهد الخلفاء الراشدين على ما كان عليه في عهد السالف عهد رسول الله ﷺ ، فلم يقع في هذه المرحلة والعهد خلاف كلي يذكر في مسائل العقدية ، وإنما وقع خلاف في جملة من المسائل الفرعية الفقهية العملية .

وكان غرضهم ﷺ في تلك المسائل الفرعية كما يقول الشهرستاني : ” إقامة مراسم الشرع ، وإقامة مناهج الدين ” .

ولكن بعض من تلك الخلافات الفرعية ارتفعت شأنها وتعاضم خطرهما حتى صارت ذات صلة وثيقة بمسائل الأصولية، وأساساً لقيام كثير من الفرق الإسلامية فيما بعد .

وفيما يلي نذكر أهم المسائل التي برزت في هذا العهد، نذكرها كالاتي:

أولاً : إن أخطر خلاف حدث بين المسلمين عقب وفاة الرسول ﷺ مباشرة هو اختلافهم في الخلافة، وموضوعه من أولى الناس بخلافة الرسول ﷺ في حكم أمته ، رجال من الأنصار الذين آووا ونصروا رسول الله ﷺ، أم رجل من المهاجرين الذين سبقوا إلى الاسلام وأوذوا وصبروا...أم رجل من عترة النبي ﷺ وآل بيته .

بعد مناقشات كثيفة استقر رأي الصحابة في ترشيح أبوبكر الصديق ﷺ لمنصب خلافة النبي ﷺ، وبذلك سكن الخلاف.

ولكن نرى أن هذا الأمر أو الخلاف يعود قوياً متشعباً في نهاية الخلافة الراشدة، ويصبح سبباً باعثاً ورئيسياً في اختلاف المسلمين وتشنيت وحدتهم وصفهم .

ثانياً: واختلف المسلمون في عهد أبي بكر الصديق ﷺ في ما نعي الزكاة، حيث نرى جماعة من الصحابة عارضوا الخليفة في قتالهم، وكان على رأس هؤلاء سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، فقالوا للخليفة: كيف نقاتلهم وقد قال الرسول ﷺ: {أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمانهم وأموالهم}.

وقال جماعة بل نقاتلهم ، حتى قال أبو بكر الصديق ﷺ: أليس قد قال: إلا بحقها، ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو منعوني عقلاً مما أدوه إلى النبي ﷺ لقاتلتهم عليه، ومضى بنفسه إلى قتالهم، ووافقهم الصحابة.

وتجد الإشارة إلى أن هذا الخلاف كان أصلاً لما حدث بعد ذلك من خلاف في الإيمان وتضمنه للعمل أو عدم تضمنه له.

ثالثاً: ومن المسائل التي اختلف فيها الصحابة الكرام اختلافهم في تنصيب أبي بكر عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) بالخلافة، فقد رضيه جمهور الصحابة.

ولكن بعضهم تبرم منه خوفاً من شدة عمر بن الخطاب ، فقالوا لأبي بكر عند مرضه: (وليت علينا فظاً غليظاً).

فأجابهم الخليفة الصديق ﷺ: ” لو سألني ربي يوم القيامة لقلت : وليت عليهم خيرهم لهم ” . ولكن هؤلاء الصحابة رجعوا عن رأيهم ، بعد أن رأوا عدالة عمر بن الخطاب ﷺ وسياسته الراشدة في إدارة الدولة ، وتعامله مع رعيته .

رابعاً: ومن المسائل التي اختلف فيها المسلمون في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ اختلافهم في شأن أرض سواد العراق وفارس، فقال قوم تقسم، وقال أمير المؤمنين: ” بل تبقى ملكية عامة للمسلمين جميعاً” . لأنه ﷺ خشي إذا قسم تلك الأراضي فتؤدي إلى ضرر على المجتمع ، ويمكن إيجاز نظرته ﷺ في عدم تقسيم تلك الأراضي كالآتي:

(١) إذا قسم كل أرض مفتوحة أن تجيء ذراري لا تملك شيئاً من الأرض.

(٢) الدولة يحتاج إلى الميزانية ما يسد الثغور ويحمي البلاد.

وهكذا نرى أن الصحابة ﷺ كلهم نزلوا عند رأيهم، ووافقوا عليه أجمعين.

خامساً: واختلف المسلمون أيضاً فيما اتخذ عمر بن الخطاب ﷺ في أمر الخلافة من الشورى بين ستة من الصحابة الكرام، حتى نعموا على بيعة عثمان بن عفان ﷺ .

سادساً: ثم اختلفوا في بعض أعمال عثمان بن عفان ﷺ حيث أنكروا قوم عليه أفعالاً عدة، منها:

(١) رده الحكم بن أمية إلى المدينة بعد أن طرده رسول الله ﷺ منها وكان يسمى طريد رسول الله ﷺ .

(٢) إيواؤه عبدالله بن سعد بن أبي السراح ، بعد أن أهدر النبي ﷺ دمه، وتوليته إياه مصر بأعمالها.

(٣) واختلفوا في الثورة عليه، وفي قتله، فقال قوم ظلماً وعدواناً، وقال آخرون: بخلاف ذلك.

سابعاً: وبعد أن بويع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ اختلف الناس في خروج طلحة والزبير وحرهما عليه.

وكذا اختلفوا في حرب معاوية مع علي بن أبي طالب، حيث ساند بعض الصحابة معاوية، بينما نرى أن معظم الصحابة ساندوا علي بن أبي طالب ﷺ.

واختلفوا في التحكيم، وفي مخالفة الخوارج له (علي بن أبي طالب) وخروجهم عن طاعته ومناصبتهم العدا له.

وفي هذا العهد ظهر خلاف الشيعة، سيما الغلاة منهم، حيث تجاوزوا الحد في تقديسه حتى اعتقدوا أنه إله الخلق، مما حمله على قتلهم وتحريق بعضهم بالنار.

مما مضى كانت جل الخلافات التي حصلت بين المسلمين في هذا العهد، وتبين لنا أنها كانت خلافات حول مسائل فرعية عملية، ولكن بعض منها كالخلافة أصبحت أساساً للخلافات العقدية، وسبباً في نشوء الفرق الكلامية كالخوارج والشيعة.

أما العقيدة فلم يحدثنا المصادر عن وقوع خلاف بينهم في شيء منها، وكان منهجهم في تقرير وإثبات العقائد الإيمانية قائماً على النقل من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة في معظم الأحوال.

ولهذا فلم يلجأ الصحابة الكرام في هذا العهد إلى البحث والنظر وممارسة الحوار والجدل إلا في مقام دعوة الخصوم وصرْفهم عن عقائدهم الفاسدة.

ومن الأمثلة التي تبين أن الصحابة لم يخوضوا في المسائل العقدية إلا في مقام الدعوة، قول أبي بكر الصديق ﷺ في تقرير مخالفة الله تعالى عن الحوادث، قوله: **{العجز عن درك الإدراك إدراك}**.

وقد شرح الإسفراييني قول الصديق بقوله: **"إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب والقياس على الخلق، صح عندك أنه خلاف المخلوقات"**.

وأما عمر بن الخطاب ﷺ فإنه أيضاً تعرض إلى ممارسة المسائل العقدية مع قس (برقشت) في باب القضاء والقدر، إذ كان قائماً يخطب للناس بالجابية، فقال في خطبته: **{ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }**، فقال القس ما يقول أميركم هذا؟ قالوا: **{ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ }**، فقال القس: الله أعدل من أن يضل أحداً، فبلغ عمر ذلك، فبعث إليه فقال له: **"بل أضلك الله، لولا عهدك لضربت عنقك"**.

وكذا أبا موسى الأشعري ﷺ وقع في هذا الصدد مع بعض القدرية، فقد ناظر القائلين الذين كانوا يفتشون بين الناس مقالات بقصد إشاعة الفتن بين الناس، فكانوا يقولون: كيف يُقَدَّر عليّ شيئاً ثم يعذبني عليه؟، فأجابهم: قَدَّر حيث علم، وعذَّب حيث لم يظلم.

وتجدد الإشارة إلى أن علي بن أبي طالب ﷺ كان أكثر الصحابة لجوءاً إلى المناظرة والجدل في العقيدة، ويمكن إرجاع ذلك إلى الأسباب الآتية:

(١) إنه كان من أكثر الصحابة مشاركة في توجيه الأحداث ومتابعتها.



(٢) كان ﷺ من أبرز الصحابة الذين امتد بهم العمر إلى مرحلة دخول المجتمع الإسلامي في طور جديد خطير.

(٣) أنه الشخصية الكبرى التي اتخذتها الفتنة الإسلامية لها. ولهذه الأسباب أثر عنه طائفة كبيرة من الآراء في أدق مسائل العقيدة - في ذات الله تعالى وصفاته، وفي القدر .. -

وخلاصة القول: ان المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين لم يتركوا النظر في مسائل العقيدة في معرض الإرشاد، وإنما تركوا التوغل والتكلف في النظر والحوار، وإنهم ما كانوا يلجؤون إلى شيء منه إلا في معرض إثبات عقائد الدين، ودفع الخصوم المتربصين.

### حالة العقائد

#### في عهد الأمويين

حدث تطور كبير على العقائد في عهد الأمويين، فبرزت مسائل العقيدة ومشكلات كثيرة أدت إلى تمزق صف ووحدة المسلمين، فاحتمت على أثر تلك المسائل الحوار والجدال بين المسلمين. وفي هذا العهد ولأول مرة اعتمد العلماء في الاستدلال على المسائل العقيدة على منهج النظر الفكري والاستدلال العقلي وسيلة لإثبات العقائد وأصول الدين بصورة عامة. ومن الجدير بالذكر أن أبرز المشكلات التي حصلت وبرزت في هذا العهد والتي كان أكثرها حواراً وجدالاً كانت مسألة: القضاء والقدر التي أثارها معبد الجهني، ورفع رايته من بعده غيلان الدمشقي. ومن ثم برزت مسائل عقيدة أخرى والتي لم تقل تأثيرها على المسلمين وعلى الساحة الإسلامية من سابقتها ألا وهي مسألة: خلق القرآن الكريم والصفات الإلهية اللتين أثارهما الجعد بن درهم، وتولاها من بعده الجهم بن صفوان .

وظهر في هذا العهد أيضاً مسألة: الكبائر وحكم مرتكبها التي أثارها الخوارج، وتمتد جذور هذه العقيدة إلى عهد الصحابة الكرام ﷺ.

وتجدر الإشارة إلى أن في أيام المتأخرين من الصحابة الكرام ظهرت بعض المسائل خلاف القدرية، كالقدر والاستطاعة.

وهذه المسائل أثارها معبد الجهني وغيلان الدمشقي وجعد بن درهم. وخلاصة القول أنه في هذا العهد ظهر الخلاف بين الفرق الكلامية واحتدم النزاع بينها وكفروا بعضهم بعضاً.

وقد تولدت على غرار تلك الوسائل مسائل عقيدة كانت موضع تجادل وتنازع بين الفرق. ثم افترق المسلمون بسببها إلى فرق.

وظهر علم الكلام على أيدي هذه الفرق لاسيما المعتزلة منهم.

ومما مضى يمكن أن نلخص من هذا العهد نتائج كثيرة، نذكر منها:

(١) إن النظر العقلي في العقائد الدينية بدأ على أيدي الجهمية والجهنية والقدرية والمعتزلة، وكان ذلك في نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني للهجرة.

(٢) أهم مسألتين سببتا الخلاف والنظر، هما (الصفات الإلهية) ومسألة (القضاء والقدر).

(٣) الذين أثاروا هذه المسائل وبحثوا فيها كانوا من الموالي (المسلمون الجدد) الذين تركوا دياناتهم القديمة

واعتنقوا الإسلام، أثر موجة الفتوحات.

(٤) المذاهب السياسية والفرق الدينية التي نبت في العهد السالف - عهد الصحابة - قد نمت وتميزت

شخصيتها الفكرية والعقائدية في هذا العهد.

### وأهم هذه الفرق تتمثل بـ:

الشيعة والخوارج، ولكن أيضاً ظهرت فرق دينية جديدة كان أهمها: القدرية والجبرية والمرجئة والمعتزلة.

(٥) التدوين والتأليف في مسائل الكلام قد بدأ في هذا العهد، إلا أنه لم يصل إلينا منه شيء.

ويعتبر ذلك من أهم النتائج التي تذكر في هذا العهد.

## حالة العقائد

### في عهد العباسيين

يعدُّ العهد العباسي العهد الذهبي بالنسبة إلى تدوين العلوم والمعارف الإسلامية بصورة خاصة، والعلوم

بصورة عامة، ففي هذا العهد ظهر التدوين، وألفت الرسائل والكتب في علم الكلام.

وكان علماء الفرق وأصحابها يعتكفون في دراسة مسائل علم الكلام ومباحثها، ومن أبرز من صنف في

هذا المجال هو (واصل بن عطاء ت ١٣١هـ) صنف كتابه (أصناف المرجئة) و(بين المنزلتين) و(الخطب في

التوحيد والعدل).

ومن الذين برزوا في هذا العهد، وصنفوا في هذا الصدد (عمرو بن عبيد ت ١٤٢هـ) وله كتاب (الرد

على القدرية).

وأيضاً: (هشام بن الحكم ت ١٩٩هـ) وهو متكلم شيعي، وله كتب، منها: كتاب: (الإمامة).

وظهر من جانب أهل السنة علماء أجلاء صنفوا في هذا المجال، فقد برز في الساحة العالم

الجليل (أبوحنيفة ت ١٥٠هـ) وله كتابان منسوبان إليه (الفقه الأكبر) و(العالم والمتعلم).

ومن الجدير بالذكر أنه راج في هذا العهد منهج النظر العقلي في تقرير المسائل العقيدية والدفاع عنها.

وحمل لواء هذا المنهج في هذا العهد - المعتزلة - وانتصر لهم فيما بعد - الشيعة -

لذا كانت وجهات النظر بين المدرستين متقنة في كثير من المسائل لاسيما في مسألة الإمامة ، ونفي رؤية الله تعالى، وخلق القرآن الكريم، ونفي الجبر عن أفعال العباد ...

ولكن على الرغم من اتفاق الفريقان (الشيعة والمعتزلة) على جملة من المسائل إلا أنهما اختلفا على جملة من القضايا الفكرية والمسائل العقيدية، وخصوصاً فيما يتعلق بصفات الإمام كعصمته وغيبته، ورجعته...

لماذا أصبح المعتزلة هو المذهب السائد بين المذاهب الإسلامية؟.

التزامه بالمنهج العقلي، واعتماده على المنطق والجدل.

حظي بتأييد السلطة السياسية ومساندتها له.

وهذا الأمر أدى إلى إضعاف المذاهب الأخرى ولاسيما الشيعة لاضطهاد السلطة لهم، والسلفيون لاعتمادهم

المنهج النقلي.

لماذا أخذ المعتزلة بالضعف بعد ما كان هو المذهب السائد؟.

(١) غلو المعتزلة واسرافهم في الاستدلال العقلي.

(٢) اتخاذهم القوة وسيلة لفرض آرائهم الدينية ووجهات نظرهم الفكرية.

(٣) لجوؤهم إلى اضطهاد مخالفهم في المعتقد وخصوصاً أهل السنة.

فهذه الأسباب التي ذكرناها كانت من أهم العوامل التي أدت إلى انقراض المعتزلة.

على أية حال فقد استمرت موجة العداة الفكري للمعتزلة، وذلك بخروج العالم الجليل أبي الحسن الأشعري(ت

٣٢٤هـ) من صفوف المعتزلة، وقد بالغ في الرد عليهم.

بدأ الأشعري بتأليف الكتب في الرد على مخالفي أهل السنة خصوصاً المعتزلة، تزلزل من خلالها هيمنة وسلطان

الاعتزال .

وقد ساعد في القضاء على المعتزلة بعد أن انتصر للأشعري جملة من أكابر العلماء، حيث نرى أنهم سلكوا

مسلك الأشعري في تقرير المسائل الإيمانية، منهم: القاضي أبو بكر الباقلاني، والإسفرائيني، والبغدادي، والجويني، والشهرستاني، والرازي ... فسموا رأي الأشعري بمذهب أهل السنة والجماعة.

ومع ما كان للمدرسة الأشعرية من مكانة في العالم الإسلامي، فقد استمرت حملة العداة الفكري للنظر العقلي في

العقائد في صفوف أهل الحديث وخاصة الحنابلة منهم ممن اشتدوا في الأخذ بالنص ولهذا سموا الحرفيون، والنصيون،

والنقليون.

وقد بدأت هذه الحرب على علم كلام السني في ثوبه الأشعري أبو اسماعيل الهروي (ت ٤٨١هـ) الذي ألف كتاباً

في (ذم الكلام وأهله).

ثم تابعت حملات الحنابلة على علم الكلام من بعد أبو اسماعيل الهروي متمثلة في كتابات ابن قدامة المقدسي

(ت ٦٢٠هـ) وابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ) وابن تيمية الحرائي (ت ٧٢٨هـ) وتلميذه ابن قيم

الجوزية(٧٥١هـ).

عمل هؤلاء على أحياء مذهب السلف على طريقة الحنابلة الذي يقوم على أخذ العقائد من الكتاب والسنة فقط،

فقاموا بعنف منهج العقلي الذي كان ينادي به المعتزلة والذي عاش في مدرسة الشيعة.

كما قاوموا منهج الأشاعرة الذي يقوم على تقرير العقائد الإيمانية بالبراهين النقلية.

## أسباب نشأة الفرق الكلامية

لا شك في أن أسباب ظهور الفرق الإسلامية ترجع إلى أوضاع داخلية، وما يتفرع منها إلى النص الشرعي نفسه، وإلى تفسير بعض النصوص المحتملة لمعنيين من الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وكذلك تعود إلى عوامل سياسية وخارجية والاحتكاك بثقافات الدول التي فتحها المسلمون واتصلوا بها. ويمكن تلخيص أسباب نشوء الفرق داخلياً وخارجياً على النمط الآتي:

□ أولاً: الأسباب الداخلية: وهي تشمل:

□ ١- النزاع على الخلافة:

من الأسباب السياسية التي أدت إلى اختلاف الأمة الإسلامية في تعيين الخليفة التي ظهرت في نظر المسلمين في من يكون أولى الناس بخلافة النبي ﷺ في حكم أمته، وقد انبعث ذلك النوع من الخلاف بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة<sup>(١)</sup>.

وقد اتفق المؤرخون - المسلمون والمستشرقون - قديماً وحديثاً على أن الخلافة كانت أول مسألة أثيرت وأدت إلى تمزيق وحدة المسلمين فيما بعد، وأن ثغرتها لا زالت غير مسدودة، كما أن الأمة لا زالت تعطي ضريبتها، ولذا فمن الضروري في هذا المقام أن نذكر بعض أقوال علماء المسلمين وغيرهم بهذا الخصوص: ذهب الإمام أبو الحسن الأشعري إلى أن: "أول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد وفاة نبيهم اختلافهم في الإمامة"<sup>(٢)</sup>.

ومن المستشرقين ذهب (البيرنصري) إلى: "أن أول مشكلة جابهت الإسلام هي مشكلة الخلافة أو بالأحرى الإمامة، وكان البحث فيها سياسياً مصبوغاً بصبغة دينية، وترتب على هذه المشكلة ظهور فرق عدة، أهمها الخوارج، والشيعة، والمرجئة... ثم تحول النزاع إلى مسائل كلامية"<sup>(٣)</sup>.

وعليه فإن الخلاف في الخلافة كان ولا يزال محل الانشقاق المذهبي بين المسلمين، من بين أهل السنة والشيعة والخوارج، وهو خلاف في جوهره سياسي مرتبط بالدين<sup>(٤)</sup>.

ويتضح مما مضى: أن هذا الاختلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار، قد امتد وانعكس أثره في المراحل التي تلت، حتى إن معظم الفرق الغالية<sup>(٥)</sup> استغلت موضوع الإمامة والاختلاف فيه، وتحركت من

(١) يُنظر: تاريخ المذاهب الإسلامية: ١٦ وبحث في الملل والنحل: ٥١/١.

(٢) مقالات الإسلاميين: ٣٤/١.

(٣) أهم الفرق الإسلامية والكلامية: ٧.

(٤) يُنظر: في علم الكلام: ١٨.

(٥) الغلاة: هم الذين غالوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية، وحكموا فيهم بأحكام الإلهية، فشبهوا الأئمة بالإله، وشبهوا الإله بالخلق، وإنما نشأت شبهاتهم من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى (يُنظر: الملل والنحل: ٢٨٨/١).

خلاله، وفي ظل هذا الخلاف ظهرت حركة الغلو، فقد وجد الغلاة في قضية الإمامة مادة خصبة للعمل بها وتحت اسمها، حتى إن الغلو اعتبر لدى البعض متعلقاً بموضوع الإمامة، ومرتبطاً بها جراًء إضفاء صفات مبالغ فيها على الأئمة (١).

## ٢. الاختلاف في فهم الآيات المتشابهات:

لقد فتحت الآيات المتشابهات المجال أمام المفسرين للنظر فيها وتأويل معانيها، وحاول كل فريق من الفرق الإسلامية أن يدعم وجهة نظره بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة التي ساعدت بطبيعتها على نشوء الفرق (٢).

وان الآيات المتشابهات آيات مبهمة المعنى تحمل معنيين، أحدهما قريب، والثاني بعيد، فيذهب كل فريق مذهباً حسب ما استقر عنده من دليل غير مذهب صاحبه (٣).

فمثال ذلك أن في القرآن الكريم آيات ظاهرها التجسيم أو التشبيه، وأخرى توحى إلى التنزيه، فمن الآيات التي تشير إلى التشبيه ظاهراً، آيات الجوارح والثبوت على العرش وغيرها، كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (٦).

ومن الآيات التي تنزه الله تعالى عن صفات المخلوق قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٧)، وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٨).

ولذلك اختلف العلماء في تفسير الآيات المتشابهات، هل يفوض إلى الله تعالى معناها، أو يعلمه العلماء المختصون؟ فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩).

فهذه الآية الكريمة ثبت ورود المتشابهة في القرآن الكريم، وهي سبب في اختلاف العلماء في مواضع المتشابهات، وقد حاول كثيرون من العلماء تأويلها، والوصول إلى إدراك حقيقة معناها، فاختلَفوا في التأويل

(١) يُنظَر: الغلو والفرق الغالية: ٣٩.

(٢) علم الكلام ومدارسه: ٢٥.

(٣) تأريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٣٨.

(٤) سورة طه ٥.

(٥) سورة الرحمن ٢٧.

(٦) سورة الفتح ١٠.

(٧) سورة الشورى ١١.

(٨) سورة الصافات ١٨٠.

(٩) سورة آل عمران ٧.

اختلافاً مبيناً، ومنهم من أراد أن يجعل بينها وبينه حجاباً مستوراً، فما كانوا يؤولون بل كانوا يتوقفون<sup>(١)</sup> .

### ٣- الاختلاف في فهم أحاديث الرسول ﷺ :

لقد كثر وضع على احاديث رسول الله ﷺ وكان ذلك سبباً من أسباب نشوء الفرق، بعد انتشار الصحابة (رضي الله عنهم) في الأمصار، وتعددت حلقاتهم في المساجد ليرؤوا عن النبي ﷺ الأحكام الشرعية، ثم تلقى عنهم التابعون هذه الروايات<sup>(٢)</sup> .

غير أن أعداء الإسلام لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام أحاديث المصطفى ﷺ فإنهم أفرغوا فيه سمومهم الفاسدة، فوضعوا آلافاً من الأحاديث الموضوعية، راجين بذلك تشكيك المسلمين في دينهم<sup>(٣)</sup> .  
قال الشهرستاني : "إن كثيراً من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، وضعوا أحاديث متعددة في التجسيم والتشبيه، وهي كلها مستمدة من التوراة"<sup>(٤)</sup> .

وهكذا أدخل في الإسلام كثيراً من الإسرائيليات والأساطير في تفسير الكون وبدء الخليقة وأحوال الأمم الماضية، فتأثرت بهم طبقات من المسلمين ممن كتبوا حول المواضيع السالفة<sup>(٥)</sup> .  
ومما يعضد ذلك ما نقل عن ابن أبي العوجاء<sup>(٦)</sup>، عندما قبض عليه وأحضر للقتل، فلما أيقن موته ومفارقة ومفارقة الحياة، قال: لئن قتلتموني فقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة<sup>(٧)</sup> .  
ولهذا فكان الحديث معتركاً متلاحماً وبحراً خضماً لا يعرف السالك فيه مواطن الأمان، فقام أهل الحديث بمجهود كبير في فحص الأحاديث وتوضيح الصادق والكاذب منها عن طريق الرواية، ومنها السند، وعن طريق الدراية، ومنها النقد الباطني للنصوص، فأنشأوا علم مصطلح الحديث<sup>(٨)</sup> .

### ٤- التعرض للمسائل الغامضة :

إن المسلمين الأوائل لم يخوضوا المسائل الغامضة في القرآن الكريم، بل قبلوها بمدلولها الحرفي، ولكن بعض المتأملين خاطرهم الشك فيما لم يفهموه، فراجعوا النظر في النص وتعمقوا فيها، حتى انتهى بهم إلى ضرب من اليقين، وقد نتج هذا التحري إلى ظهور التفكير الفلسفي بين علماء المسلمين وتدوين مسائل العقائد،

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية : ٢٠ ويُنظر: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية: ٢٢ والمدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب: ٧٩/٢ .

(٢) ينظر: علوم الحديث : ابن الصلاح : ١٠٠ وتدريب الراوي : ٣٢٣/١ وعلوم الحديث ومصطلحه : ٢٨٢ وعلوم الحديث : رشدي عليان : ١٠٥ وإعجاز القرآن : ١٤ .

(٣) يُنظر: تأويل مختلف الحديث: ٢٤٦ ونشأة الفكر الفلسفي: ٣٥١ .

(٤) الملل والنحل: ١٢/٢ .

(٥) يُنظر: بحوث في الملل والنحل: ١٨١/١ .

(٦) هو: عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال مَعْن بن زائدة، زنديق معتز. (ميزان الاعتدال: ٦٤٤/٢) ..

(٧) ينظر: تدريب الراوي : ٣٣٥/١ ، و علوم الحديث ومصطلحه : ٢٨٥ ..

(٨) ينظر: علوم الحديث: ابن الصلاح : ١١ وتدريب الراوي : ٦١/ ١ .

كمسألة إثبات صفات الله تعالى ونفيها، ومسألة قدرة العبد بجوار قدرة الرب، وغير ذلك من المسائل، ومن الطبيعي أن البحث في هذه المسائل، يفتح باباً واسعاً من أبواب الاختلاف، وتباين المسالك ويتجه كل اتجاه يخالف الآخر (١).

### ثانياً: الأسباب الخارجية:

إن للأسباب والعوامل الخارجية تأثيراً كبيراً في نشوء الفرق، وإن تأثيرها لا يقل عن العوامل الداخلية، وأهم هذه العوامل التي أثرت في نشوء الفرق هي:

### الاحتكاك مع الفكر الدخيل واللقاء الثقافي والحضاري:

بعد انتقال النبي الأكرم ﷺ إلى جوار ربه، قام المسلمون بالفتوحات الإسلامية ومكافحة الشرك، والزيغ في الأمم المخالفة للإسلام، وكانت تلك الأمم ذات حضارة وثقافة في المعارف والعلوم والآداب، وكان بين المسلمين رجال ذوو دراية ورغبة في كسب العلوم وتعلم ما في تلك الحضارات من آداب وفنون، فأدت هذه الرغبة إلى المذاكرة والمحاورة من جهة، ونقل كتبهم إلى اللغة العربية من جهة أخرى (٢).

ودخل كثير من أهل الديانات القديمة في الإسلام كاليهود والنصارى والمجوس، وكانوا يحملون أفكارهم من دياناتهم القديمة، فقد سلك هؤلاء الداخلون طريقة التعرف على الحقائق الإسلامية على ضوء معتقداتهم القديمة، فآثروا بين المسلمين ما كان يثار في دياناتهم من الكلام في صفات الله سبحانه وفي الجبر والاختيار (٣).

قال ابن حزم: " إن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، تعاضمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة... فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، واستشناع ظلم علي عليه السلام، ثم سلخوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام" (٤).

فيما مضى يتضح أنه من الخطأ أن نرجع أسباب نشأة الفرق إلى مصدر واحد بعينه، بل الصواب هو أن نسلم بتأثير هذه العوامل، جاعلين الصدارة للعامل السياسي الذي دار حول مسألة (الخلافة) وتليها العوامل الداخلية والخارجية الدخيلة على الإسلام.

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية: ١٩، ويُنظر: علم الكلام ومدارسه: ٢٣ والمدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب: ٧٨/٢.

(٢) بحوث في الملل والنحل: ١٠٥/١.

(٣) المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب: ٧٨/٢، ويُنظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٢٧.

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل: ١١٥/٢.

## مناهج البحث في علم الكلام

إن منهج البحث في علم الكلام أو الطريقة التي يعتمدها الباحث في دراسة مسائله وقضاياها، افكاره ونظرياته، يختلف باختلاف وجهات نظر علمائه ومدارسه التي تعرف بالفرق الكلامية في المنهج الذي ينبغي ان يتبع في دراسة وبحث الفكر الديني.

ولاشك أن لكل علم منهج خاص للدراسة والبحث يتلاءم مع موضوع العلم وأدوات المعرفة الخاصة به . فبعض العلوم تجريبية، وبعضها عقلية، وبعضها عقلية وهكذا... وبعضها تدرس في المكتبات والكتب والوثائق والإسناد، وبعضها تدرس في ساحة الطبيعة، وبعضها من خلال مشاهدة سلوك الأفراد والمجتمعات، وبعضها لا يتحصل إلا من طريق الوجدان والذوق الباطني، وما إلى ذلك . ويتلخص هذا في أن للفرق الاسلامية الكلامية خمسة مناهج معتمدة في البحث والدراسة ، نذكرها وكالاتي:

❖ المنهج النقلي المحض.

❖ المنهج العقلي المحض.

❖ المذهب الأشعري المعتدل بين المعتزلة وأهل الحديث.

❖ المنهج الذوقي والإشراقي.

❖ المنهج الحسي والتجريبي (والعلمي بالمعنى الحديث).

### أولاً: المنهج النقلي المحض:

هذا المنهج يمثل الحنابلة والسلفيون في التاريخ فهم الذين حرّموا الرأي والنظر في المسائل الدينية، فاقترضوا في تفسير المتون الإسلامية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على المعنى اللغوي والحرفي، وحظروا التأويل، وعدوا السؤال بدعة، والكلام والاحتجاج العقلي ابتداءً وانحيازاً لأهل الأهواء والكلام ، كما أنهم حرّموا علم الكلام أيضاً.

إنّ قسارى جهد هؤلاء هو: أن يدونوا الأحاديث الخاصة بالمسائل الاعتقادية، وأن يبوبوها ويشرحوا لغاتها المُشكّلة ويذكروا أسانيدها.

وبلغ بهم الأمر في تحريم علم الكلام والنظر في المسائل الاعتقادية أن أفرد ابن قدامة الحنبلي رسالة سماها :- (تحريم النظر في علم الكلام)، فنقل عن الشافعي أنه قال: " ما ارتدى أحد بالكلام فأفح، وحكمي في أهل الكَلَام أن يضربوا بِالْجَرِيدِ وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْقَبَائِلِ وَيُقَالُ هَذَا جَزَاءَ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسَّنَةَ وَأَخَذَ فِي الْكَلَامِ"، ونقل عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: " لا يفح صاحب كَلَامٍ أبداً، وَلَا يَرَى أَحَدٌ نَظَرَ فِي الْكَلَامِ إِلَّا فِي قَلْبِهِ دَغْلٌ"<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: تحريم النظر في كتب أهل الكلام: ٤١.



ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات بهذا المقدار، بل قالوا: ما سكت عنه الصحابة - مع أنهم أعرف بالحقائق وأصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر؛ روى عبد الله، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): { هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ } قَالَهَا ثَلَاثًا، أي المتعمقون في البحث والاستقصاء<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء جوزوا التقليد في المسائل الاعتقادية، وحرّموا النظر، قال إمام الحرمين: "لَمْ يَقُلْ بِالتَّقْلِيدِ فِي الْأَصُولِ إِلَّا الْحَنَابِلَةُ." <sup>(٢)</sup>.

وقد حرم أصحاب هذا المنهج علم المنطق أيضاً، ولم يعتبروه أداة للمعرفة، وقالوا: بأن استيعاب علم المنطق وحده لا يكفي للصون عن الخطأ.

ولكن هذا المنهج شهد تحولاً واعتدالاً في العصور المتأخرة على يد أمثال: ابن تيمية الذي وقف موقفاً وسطاً حيال علم الكلام، فهو لا يحرّمه تحريماً باتاً، بل يجوزه إذا دعت إليه الضرورة، واستند إلى الأدلة العقلية والشرعية، وصار سبباً لوضع حد لشبه الملاحدة والزنادقة<sup>(٣)</sup>.

وقد ذهب ابن تيمية أبعد من هذا حين قال بعدم التخالف بين العقل الصريح والنقل الصحيح في كتابه: (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) موافقاً في ذلك ابن رشد في كتابه: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشرعية من الاتصال). ولكن لابن تيمية مواقف وآراء يوافق فيها جمهور الحنابلة والسلفية.

### ثانياً: المنهج العقلي المحض:

يتميز هذا المنهج باعتماده على العقل البشري كأداة للمعرفة، ويطلق على أتباعه: (أصحاب الرأي) أو (المعتزلة) أيضاً وقد بدأ هذا المنهج في عصر مبكر من تاريخ الإسلام، ويعتبر المؤسس الأول له (واصل بن عطاء).

وهذا الاتجاه يعطي للعقل البشري دوراً رئيسياً في فهم الدين الإسلامي، خصوصاً في العقائد ويقدمونه على النقل، ويرى: أن معرفة الله سبحانه ومعرفة صفاته وشرائعه لا تتم إلا بالعقل الإنساني.

كانت المعتزلة أتباع مدرسة الرأي في العقائد، وإذا عارضتهم آية أو رواية يؤولونها، وكانوا يقولون بحجية العقل قبل كل شيء حتى قبل النقل، بحجة أن الشرع أيضاً يثبت بالعقل، وبه يؤمن الإنسان بربه، ويصدق نبيه، ويلتزم بوعده ووعيده.

وللمعتزلة دور كبير في الوقوف بوجه الهجوم الفكري العنيف المضاد للإسلام في العهد العباسي الأول، وقد مال إليهم الخلفاء من أمثال: المأمون والمعتصم، ولكن سرعان ما انقلب الأمر عليهم في عهد المتوكل.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب: العلم، باب: هلك المتنتعون: ٤/ ٢٠٥٥، برقم (٢٦٧٠).

(٢) شرح تنقيح الفصول: ٤٣٠ وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ٢/ ٢٤١.

(٣) مجموع الفتاوى ٣: ٣٠٦.

### ثالثاً: المذهب الأشعري المعتدل بين المعتزلة وأهل الحديث:

المذهب الأشعري الذي عليه غالبية أهل السنة - عدا الحنابلة - مذهب معتدل بين المعتزلة وبين أهل الحديث.

إنّ الشيخ أبا الحسن الأشعري كان في بداية أمره معتزلياً، ثم أعلن براءته منهم ورجوعه إلى مذهب الجمهور، وأدلى بذلك في تصريح له على منبر المسجد الجامع بالبصرة، فهو أراد أن ينتصر لأهل الحديث، لكن بأسلوب المعتزلة، أي: بالاحتجاج والحوار والاستدلال على المنهج العقلي، ولذلك لا يعتبره المعتزلة تابعاً لمنهجهم، ولا يعده أهل الحديث منهم، بل يكفروه الاتجاه الأخير لاشتغاله بالكلام.

وقد رأى أصحاب هذا المنهج: أن علم الكلام ضرورة للدفاع عن الدين، وأنهم لا يسعهم السكوت عن إجابة المسائل المستحدثة حتى ولو لم يتعرض لها الصحابة رضي الله عنهم وفي ذلك يقول الإمام أبو حنيفة لما قيل له: "رأيت أقواما يقولون لا تدخلن هذه المداخل، فإن أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم لم يدخلوا في شيء من هذه الأمور، وقد يسعك ما وسعهم".

فيجيب الإمام أبو حنيفة: "بلى يسعني ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم، وليس بحضرتي مثل الذي كان بحضرتهم، وقد ابتلينا بمن يطعن علينا، ويستحل الدماء من، فلا يسعنا أن نعلن من المخطئ منا والمصيب... فمثل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم، فلا يتكفون السلاح، ونحن قد ابتلينا بمن يطعن علينا".

### رابعاً: المنهج الذوقي (الإشراقي، الصوفي):

هذا المنهج يسلك المسلك الرمزي الذوقي الخاص بالصوفية، الذي يختلف تماماً عن مسلك المتكلمين القائم على العقليات، ثم على السمعيات.

والإمام الغزالي من أكبر رواد هذه الطريقة، فهو يقول: بأن هذا طريق الخاصة، وما دونه طريق العامة، ومن لا يفترق عنهم أي: (العامة) سوى أنه يعرف الأدلة، وليس الاستدلال<sup>(١)</sup>.

ويقول الدكتور أحمد محمود صبحي: "وإذا كان الغزالي قد حرم النظر في حقيقة الذات الإلهية على العامة، وذلك مالا ينكره أحد عليه، فإنه أدرج في ضمن العوام: الأدباء والنحاة والمحدثين والفقهاء والمتكلمين، وجعل التأويل مقصوراً على الراسخين في العلم، وهم في نظره: الأولياء الغارقون في بحار المعرفة، المتجردون من دنيا الشهوات"<sup>(٢)</sup>، ثم توالى من بعد الغزالي التأليف من العلماء المتصوفة في العقائد على المنهج الخاص بهم<sup>(٣)</sup>.

(١) إجماع العوام عن علم الكلام: ٦٦ .

(٢) في علم الكلام: ٦٠٤ / ٢ .

(٣) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر: ١ / ٢٤ .

## خامساً: المنهج العلمي (التجريبي) - المنهج الصالح المطلوب - :

هذا منهج حديث، وقد تبع فيه قسم من المفكرين الإسلاميين رواد الفكر الأوربي الحديث، وله أنصاره ورواده، ويعتبر واحداً من التيارات الفكرية المعاصرة الوافدة من الغرب إلى العالم الإسلامي، ولهؤلاء رأي خاص في أدوات المعرفة البشرية .

ومن ميزاتهم: الاعتماد التام على الحس والتجربة، وقد رفضوا المنهج العقلي والمنطق الأرسطاطاليسي رفضاً باتاً، وحاولوا البحث عن المعارف العليا والمتأفزيقيا والدين بمناهج مستخدمة في مجال الطبيعة والعلوم التجريبية<sup>(١)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب النقلي الذي استعمله القدامى لم يعد صالحاً اليوم إلا أن يكون لإقناع مسلم وقع في شبهة أو ساورته بعض الشكوك. وكذلك الأسلوب المعتمد على المنطق الصوري، فإن عقلية اليوم لم تعد تحتل هذا المنطق ولا تراه مؤدياً إلى الحقيقة، وبالتالي لم يعد صالحاً لإقناعها.

وبناء على ما تقدم فإن المنهج الصالح المطلوب اليوم هو المنهج العلمي (التجريبي)، وهذا المنهج هو أكثر ما يحتاج إليه علم الكلام من الأساليب لتأدية رسالته، وذلك لأنه أنجح الأساليب لإقناع العقلية الحديثة، لما عليه هذه العقلية من الاعتداد بالعلم التجريبي ونتائجه.

ومثال ذلك استعمال ما توصل إليه علم الفلك من القوانين الدقيقة الغربية لسير الأجرام السماوية للدلالة على أن ذلك من تدبير صانع، واستعمال القوانين الرياضية لإبعاد احتمالات الصدفة في خلق الحياة، واستعمال قوانين الفيزياء في الطاقة والحرارة للاستدلال على أن الكون ليس بأزلي، وإنما هو مخلوق حادث.

إن هذا الأسلوب يستلزم استعماله اطلاعاً كافياً على النتائج المتجددة في الفكر العلمي، وعلى ما يحدث من أساليب البحث و طرق التفكير في مختلف نواحي الفكر الإنساني.

ولهذا فإن مهمة إنشاء علم كلام حديث لا يمكن أن يقوم بها متكلمون بالمفهوم القديم ولكن تحتاج إلى تضافر جهود مختلفة.

(١) ينظر : تفسير القرآن الكريم: ١١ / ١٤ وإحياء الفكر الديني في الإسلام : ١٤٧ .

## أولاً: مفهوم: الإسلام، الإيمان، الإحسان

### تعريف الإسلام في اللغة والاصطلاح:

(أ) الإسلام لغة: الانقياد والاستسلام والخضوع .

(ب) الإسلام في الاصطلاح: هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله ، قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} (١) .

وأركان الإسلام خمسة بينها رسول الله ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله» .

فالإسلام خمسة أركان كما بينتها الحديث الشريف، أولها قول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهي التي تُدخل صاحبها في الإسلام وهي كلمة التوحيد التي تفصل بين الشرك والإسلام، فمن قالها فقد عصم دينه وعقيدته من الكفر، وكذلك بقية الأركان الأخرى من أركان الإسلام هي أعمدة الدين الراسخة من أنكر أيّاً منها فقد كفر، فلا يجوز أن نفرط فيها ولا نُقصر .

### ثانياً: تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح.

الإيمان لغة: التصديق والإقرار .

وفي الاصطلاح: اختلف العلماء في تعريف الإيمان في الاصطلاح الشرعي إلى ثلاثة آراء نذكرها وكالاتي:

الرأي الأول: ذهب جمهور المحققين إلى أنه هو التصديق بالجنان .

أما الإقرار باللسان فهو شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، إذ هو عبارة عن دلالة على إيمانه فقط .  
ويترتب على هذا: أن من آمن بقلبه ولم يقر بلسانه فإنه مؤمن عند الله تعالى، ويعامل معاملة الكافر في أحكام الدنيا.

ومن أقر بلسانه ولم يؤمن بقلبه فهو كافر عند الله تعالى وتجري عليه أحكام المسلم في الدنيا - وهو المنافق .  
وإلى هذا ذهب الإمام أبو حنيفة وأبو منصور الماتريدي.  
واستدلوا بالأدلة الآتية:

(أ) قول الله تعالى: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} (٢)، وهذا يدل على أن الإيمان موضعه القلب.

(١) سورة الأنعام : ١٦٣ .

(٢) سورة المجادلة : ٢٢ .

(ب) واستدلوا بقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} (١)، فلو كان الإقرار ركناً للإيمان لأصبح المكره المنكر بلسانه كافراً ولا قائل به.

(ت) وقوله تعالى: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} (٢).

الرأي الثاني: ذهب بعض العلماء إلى أنه التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وهو رأي أكثر المحققين، وأختاره فخر الإسلام البزدوي، والإمام السرخسي، وبه قال الأشعري.

#### واستدلوا:

بأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يقبلون اسلام أحد ما لم يقر بلسانه، وينطق بالشهادة، ولو علموا أنه مؤمن بها في قلبه.

ويناقش استدلالهم هذا:

بأنهم كانوا يشترطون الإقرار باللسان لغرض إجراء أحكام الدنيا فقط، لا لصحة التصديق فيما بينه وبين الله تعالى.

الرأي الثالث: ذهب آخرون إلى أنه تصديق في الجنان، وإقرار باللسان، والعمل بالأركان.

#### وهؤلاء اختلفوا:

فالمعتزلة والخوارج قالوا الأعمال ركن أساسي في الإيمان، لأن عندهم من ترك ركناً من أركان الإسلام أو عمل كبيرة فهو كافر وليس بمؤمن.

أما جمهور المتكلمين والمحدثين والفقهاء ونقل عن الشافعي أيضاً: فأنهم اعتبروا الأعمال ركن للإيمان لا لأصل الإيمان، فعلى هذا أن من ترك العمل بإيمانه ناقص ومن عمل بإيمانه كامل.

وقد استدل جمهور المتكلمين والمحدثين بأن الأعمال لها أثر في زيادة الإيمان ونقصانه، وليس ذلك إلاً لكونها ركناً تكميلياً له.

#### ثانياً: زيادة الإيمان ونقصانه:

اختلف العلماء في هل أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي على رأيين اثنين نذكرها وكالاتي:

#### الرأي الأول:

إن الإيمان يزيد وينقص، وهو رأي من اعتبر الأعمال ركناً للإيمان الكامل، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:

(١) سورة النحل : ١٠٦ .

(٢) سورة الحجرات : ١٤ .

(١) قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} (١).

(٢) وقال الله تعالى: {وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَنْبِشُونَ} (٢).

(٣) قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (٣).

(٤) روى أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ وَزَنْ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ} (٤).

### الرأي الثاني:

إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو قول من لم يجعل الأعمال من ضمن الإيمان، فقالوا: إن التصديق إذا بلغ حد الجزم والإذعان، لا يتصور فيه زيادة ولا نقصان. واستدلوا على ذلك بما يأتي:

(١) إن الله تعالى قد أطلق الإيمان على من عمل المعاصي في كثير من الآيات، وهذا دليل على أن الأعمال لا أثر لها في الإيمان.

(٢) إن المراد بالزيادة في الأدلة السابقة يراد بها زيادة ثمرته وآثاره وإشراق نور قلب المتصف به، فأنها تزداد في الطاعة - وينقص بالمعصية.

(٣) إن الله تعالى عطف العمل على الإيمان، والعطف دليل المغايرة وذلك مثل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (٥) وعلى هذا فالأعمال الصالحة لا تدخل في الإيمان، فلا تؤثر عليه زيادة ولا نقصاً.

(٤) جعل الإيمان شرطاً لقبول العمل في قوله تعالى: {مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} (٦) دليل على أن العمل غير الإيمان.

(١) سورة الفتح: ٤.

(٢) سورة التوبة: ١٢٤.

(٣) سورة محمد: ١٧.

(٤) متفق عليه.

(٥) سورة البقرة: ٢٧٧.

(٦) سورة النساء: ١٢٤.

## الخلاصة:

إن القول بالأعمال تزيد في الإيمان لا يراد بها أن الأعمال هي جزء أساسي من الإيمان وبزوالها يزول، بل أنه جزء تكميلي، وأن الإيمان يقوي بقدر ما ينكشف للمسلم من آيات ربه العظمى، وما يطلع عليه من عجائب خلقه وتدبير كونه واحداث بعض الأمور التي لا يدرك وقوعها الانسان.

وإنه يضعف بقدر ما ابتعد المسلم من ذلك ، فقد روى عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: {إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم} (١).

## رابعاً: الإحسان.

الإحسان تعريفه: الإحسان معناه مراقبة الله تعالى في السر والعلن، مراقبة من يحبه ويخشاه، ويرجو ثوابه ويخاف عقابه بالمحافظة على الفرائض والنوافل ، واجتناب المحرمات والمكروهات.

والإحسان أعلى المراتب الدين على الإطلاق، فهو في المرتبة الأولى يأتي بعده الإيمان ومن ثم الإسلام، فالشخص الذي وصل لمرحلة الإحسان هو شخص قد تعمق اليقين في قلبه، وتمكن من خلجات صدره، فهو يعيش في معية الله لأن في يقينه أن الله يراه وبأن الله مطلع عليه، وهذا بلا شك من أعظم درجات القرب من الله تعالى وهو الإحسان.

والمحسنون هم السابقون بالخيرات المتنافسون في فضائل الأعمال، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (٢).

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل عليه السلام أنه سأل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن الإحسان، فقال ﷺ: {أَنْ شَتَّعِدَّ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تُكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ} (٣).

فدل الحديث الشريف إلى أن العبد ينبغي أن يعبد الله على صفة (كأنك تراه) الدالة على استحضار قربته، وأن العبد بين يدي ربه كأنه يراه، وهذا مقام المراقبة و المشاهدة يوجب الخشية والخوف والتعظيم.

وقيل: بل إشارة إلى أن من شق عليه أن يعبد الله كأنه يراه، فليعبد الله على أن الله تعالى يراه ويطلع عليه.

وجاء ذكر مفهوم الإحسان في القرآن الكريم في مواضع عدة، وهي:

(١) تارة مقرونا بالإيمان: قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (٤).

(٢) وتارة بالإسلام: قوله تعالى: {بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ} (٥).

(٣) التقوى والعمل الصالح: قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} (٦).

(١) أخرجه الطبراني في مجمع الزوائد: ٥٢ / ١.

(٢) سورة النحل: ١٢٨.

(٣) سورة النحل: ١٢٨.

(٤) سورة المائدة: ٩٣.

(٥) سورة البقرة: ١٢٢.

(٦) سورة يونس: ٢٦.

## \* الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان \*

فإذا ذكرت هذه الأمور الثلاثة مجتمعة كان لكل واحد منها معنى خاص:

- (١) يقصد بالإسلام الأعمال الظاهرة كالصلاة والزكاة ... ويقصد بالإيمان الأمور الغيبية كالإيمان بالله تعالى والملائكة ...
- (٢) الإيمان والإسلام إذا اجتمعا في آية أو حديث واحد صار بينهما فرق، يقول الله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} (١).
- (٣) وإذا انفرد أحدهما عن الآخر دخل فيه الآخر، قال الله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (٢)، وإذا انفرد الإحسان دخل فيه الإسلام والإيمان.
- (٤) إذا اجتمعت الثلاثة فالإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو أعمال القلب الباطنة، والإحسان هو عمل خاص من أعمال القلب.
- (٥) دائرة الإحسان أعم من دائرة الإيمان، ودائرة الإيمان أعم من دائرة الإسلام، فالإحسان أعم من جهة نفسه لأنه يشمل الإيمان، فلا يصل العبد إلى مرتبة الإحسان إلا إذا حقق الإيمان، فكل محسن مؤمن، وليس كل مؤمن محسناً.

---

(١) سورة الحجرات : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران : ١٩ .



## \* الكفر وحكم التكفير \*

حدد العلماء ضوابط عدة لحد الفاصل بين الكفر والإسلام وحكم التكفير، فقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى إنه يعدُّ كافراً كلُّ:

(١) من لم يؤمن بوجود الله تعالى، أو لم يؤمن بواحدانيته وتنزهه عن المشابهة والحلول والاتحاد، أو لم يؤمن بتفردَه بتدبير الكون والتصرف فيه، واستحقاق العبادة والتقديس، واستباح عبادة مخلوق ما من المخلوقات.

(٢) من لم يؤمن بأن الله رسالات إلى خلقه، وأنزل بها كتبه عن طريق الملائكة، أو لم يؤمن بما تضمنته الكتب من وجوب الإيمان بالرسول وبتشريعاتهم، أو فرق بين الرسل (عليهم الصلاة والسلام) الذين قص علينا فأمن ببعض وكفر ببعض.

(٣) يعدُّ كافراً من لم يؤمن بأن الحياة الدنيا تفتى ويعقبها دار أخرى هي دار الجزاء ودار الإقامة الأبدية، بل اعتقد أن الحياة دائمة لا تنقطع، أو اعتقد أنها تفتى فناء دائماً لا بعث بعده، ولا حساب ولا جزاء.

(٤) يخرج من الإيمان الإسلام كل من لم يؤمن بأن أصول شرع الله تعالى فيما حرم وفيما أوجب، هي دينه الذي يجب أن يتبع، فحرم من تلقاء نفسه ما رأى تحريمه، وأوجب من تلقاء نفسه ما رأى وجوبه ...

فكل من لم يؤمن بهذه الجوانب الأنفة ذكرها، أو حلقة حلقاتها لا يكون مؤمناً، ولا تجري عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين الله تعالى، وفيما بينهم وبعض .

وليس معنى هذا أن من لم يؤمن بشيء من ذلك يكون كافراً عند الله تعالى يخلد في النار، وإنما معناه أنه لا تجري عليه أحكام الإسلام، فلا يطالب بما فرضه الله تعالى على المسلمين من العبادات، ولا يمنع مما حرمه الإسلام كشرب الخمر، وأكل الخنزير، والاتجار بهما، ولا يغسله المسلمون إذا مات ولا يصلون عليه، ولا يرثه قريبه المسلم من ماله، كما لا يرث هو قريبه المسلم إذا مات.

أما الحكم بكفره عند الله تعالى فهو يتوقف على أن يكون إنكاره لتلك العقائد أو لشيء منها - بعد أن بلغته على وجهها الصحيح - واقنتع بها فيما بينه وبين نفسه، ولكن أبى أن يعتنقها ويشهد بها عناداً، واستكباراً، أو طمعاً في مال زائل أو جاه زائف.

فإذا لم تبلغه تلك العقائد، أو بلغته بصورة منفرة، أو بصورة صحيحة ولم يكن من أهل النظر، أو كان من أهل النظر ولكن لم يوفق إليها، وظل ينظر ويفكر طلباً للحق، حتى أدركه الموت في أثناء نظره - فإنه لا يكون كافراً يستحق الخلود في النار عند الله تعالى.

ومن هنا كانت الشعوب النائية التي لم تصل إليها عقيدة الإسلام، أو وصلت إليها بصورة سيئة منفرة، أو لم يفقهوا حجته مع اجتهادهم في بحثها - بمنجاة من العقاب الأخرى للكافرين، ولا يطلق عليهم اسم الكافر.

والشرك الذي جاء في القرآن الكريم أن الله لا يغفره، هو الشرك الناشئ عن العناد والاستكبار، الذي قال الله تعالى في أصحابه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (١).

### يتضح مما سبق أن المرء لا يعد مسلماً إلا إذا دان بالأصول الآتية:

(١) الاعتقاد إجمالاً بوجود الله تعالى وبجميع صفاته الثبوتية الراجعة إلى أنه متصف بجميع صفات الكمال، وبجميع صفاته السلبية الراجعة إلى أنه منزّه عن جميع صفات النقص، ولا يلزم الاعتقاد بذلك تفصيلاً.

(٢) الاعتقاد بنبوة سيدنا رسول الله ﷺ، وأنه صادق فيما بلغه عن الله تعالى أجمالاً.

(٣) الاعتقاد بالبعث والحساب وبالثواب والعقاب.

(٤) أن لا ينكر شيئاً علم من الدين بالضرورة، كالصلاة، والزكاة، والحج، والحجاب... وما إلى ذلك من فروض الدين التي ثبتت بالدليل القطعي من الكتاب والسنة، فإن هذه الأمور يشترط عدم إنكارها في الإيمان والاسلام، لا اعتقاد بخصوص كل منها، وإنما جعلت هذه الأمور شرطاً في الايمان والاسلام لثبوتها بالدليل النقلي، ولأن انكارها يتنافى مع تصديق النبي ﷺ وصحة شريعته الذي هو معتبر في الايمان .

(٥) وصدق إجمالاً بكل ما صح وجاء به الرسول الكريم ﷺ .

(٦) ويعتبر الإنسان كافراً من لم يعتقد بأحد الأصول التي ذكرناها، أو أنكر ضرورياً من ضروريات الدين (٢).

(١) سورة النمل: ١٤ .

(٢) ينظر: الإسلام عقيدة وشريعة: محمد شلتوت: ٣٦ وأصول الدين الإسلامي: رشدي عليان: ٦٦.

## أدلة وجود الله تعالى

استدل العلماء على وجود الله تعالى بأدلة كثيرة نذكر أهمها كالآتي:

### الدليل الأول: دليل الحدوث .

بنى المتكلمون هذا الدليل على مقدمتين الآتيتين :

المقدمة الأولى: العالم حادث .

المقدمة الثانية: كل حادث لابد له من محدث .

النتيجة: العالم لابد له من محدث يُحدثه، أي يرجح وجوده على عدمه، وهو الله تعالى .

ولكي تظهر لنا صحة هذه النتيجة، علينا أن نقيم الدليل على صحة كل من المقدمتين السابقتين:

### \* الدليل على أن العالم حادث \*

يمكن صياغة دليل - حدوث العالم - بالدليلين الآتيين:

أولهما: العالم متغير. وكل متغير حادث = فالعالم حادث.

ثانيهما: العالم متركب من جواهر وأعراض.

وكل من الجواهر والأعراض متغير. = فالعالم متغير .

### والأعراض حادثة بدليل:

(أ) مشاهدة تغيرها من وجود إلى العدم، ومن عدم إلى وجود، ومن سكون إلى الحركة، ومن حركة إلى

سكون، والتغير علامة الحدوث.

(ب) احتياجها إلى مخصص بوقت حدوثها، دون ما قبله وما بعده، فلا بد من مرجح لوقوعها في ذلك الوقت،

لأن الترجيح من دون مرجح محال.

(ت) افتقارها إلى جسم يقوم بها.

### والجواهر حادثة أيضاً، وذلك:

لأنها ملازمة للأعراض لا تنفصل عنها، فهي لا تخلو عن الحركة والسكون والألوان، والأعراض حادثة

كما تقدمنا، وملازم الحادث حادث.

فإذا ثبت أن الجواهر والأعراض حادثة لزم أن يكون العالم المكوّن منهما حادثاً.

وبناء على ما تقدم تتضح لنا المقدمة الأولى وهي: العالم حادث.

### **\*الدليل على أن كل حادث لا بد له من محدث\***

أنه لو حدث حادث بلا محدث، للزم أن يترجح وجوده على عدمه بلا مرجح، وهو مستحيل بالبداية. ومعنى الرجحان بلا مرجح هو: أن يكون الشيء جارياً على نسق معين، ثم يتغير عن نسقه، ويتحول عنه بدون وجود أي مغير.

فأننا لو تركنا كفتي الميزان متساويتين، لاثقل في احدهما، وزعمنا أن إحدهما قد ترجحت دون مؤثر خارجي، كنفخة هواء أو حجر ... لضحك الناس منا.

وعليه فنقول: كان العدم هو المنبسط محل العالم قبل وجوده، فالعدم أرجح من الوجود لسبقه، ولكن حين خلق هذا العالم ترجح وجوده على العدم، فالوجود والعدم أمران متساويان، وترجح أحد الأمرين المتساويين على الآخر بلا مرجح مستحيل وباطل بالبداية.

فالقول بأن العدم قد تحول إلى وجود العالم دون سبب لهذا الوجود، باطلٌ ومستحيل استحالة صاحب الميزان والمذيع. وبذلك تسلم لنا المقدمة الثانية: إن كل حادث لا بد له من محدث.

### **الدليل الثاني : دليل الوجوب**

مُوجدُ هذا الكون إما أن يكون: واجباً، أو مستحيلاً، أو ممكناً، لأن كلَّ أمر لا بد أن يتصف بواحد من الأمور الثلاثة السابقة، ولا رابع لها، لأنها أقسام الحكم العقلي .

(١) فلا يجوز أن يكون مُوجدُ العالم مستحيلاً، لأن المستحيل لا يتصور وجوده مطلقاً، فهو عدم محض، فلا يمكن أن يوجد غيره، إذ أن (فاقد الشيء لا يعطيه) فكيف أن يكون مصدراً للوجود.

(٢) كما لا يجوز أن يكون مُوجدُ العالم ممكناً. لأن الممكن لا يوجد إلا إذا وجد سبب وجوده، وهذا السبب إن كان ممكناً يحتاج إلى سبب آخر ... وهكذا، وهذا يلزم من الدَّور والتسلسل، وكلاهما باطل، فما أدى إليهما فهو باطل، فلزم ألا يكون مُوجدُ الكون ممكناً.

(٣) ولما ثبت أن مُوجدُ العالم ليس بمستحيل ولا بممكن، وجب أن يكون مُوجدُ العالم واجب الوجود . وأنه لا يحتاج وجوده إلى سبب، بل هو علة العلل، وسبب وجود العالم .

### \* معنى الدور ودليل بطلانه \*

الدور أن يكون شيئان كل منهما علة للآخر.  
كقولنا: زيد أوجد عمراً، وعمرو أوجد زيداً .  
فكل من زيد وعمرو، يتوقف وجود أحدهما على الآخر، وهو الدور الباطل، وكل منهما يظل معدوماً حتى يأتي مؤثر خارجي.

### \* سبب بطلان الدور \*

هو أن يستلزم أن يكون كل واحد منهما، سابقاً صاحبه، متأخراً عنه، في وقت واحد، وهذا يعني استلزام تقدم الشيء على نفسه، وهو تناقض.  
فعمرو يتوقف على زيد، وزيد يتوقف على عمرو، وهذا يعني أن عمراً متوقف على عمرو، بعد حذف الحد الأوسط (زيد).  
زيد أوجد عمراً، وعمرو أوجد زيداً، وهذا يستلزم تقدم الشيء على نفسه، أي: يلزم أن يتقدم عمرو على عمرو، لأنه خالق ومخلوق أو سابق ومسبوق، فيلزم أن يكون عمرو موجوداً قبل أن يوجد، وهذا باطل.

### \* مثال بطلان الدور \*

وجود البيض متوقف على وجود الدجاج، وجود الدجاج متوقف على وجود البيض.  
فلو فرضنا أن لا وسيلة إلى وجود هذا ولا ذلك إلا عن هذا الطريق فإن من البدهي إن كلاً من الأمرين يطلان معدومين حتى يأتي مؤثر خارجي، يوجد البيض ويوجد الدجاج، فينتهي الدور عندئذ.

### \* معنى التسلسل ودليل بطلانه \*

التسلسل: هو أن يستند الممكن في وجوده إلى علة مؤثرة فيه، وتنتند تلك العلة المؤثرة إلى علة أخرى مؤثرة فيها، وهلمَّ جراً إلى ما لا نهاية ومن غير انقطاع .

فالتسلسل يعني: "على زعم أقوال منكري وجود الله تعالى": أن المخلوقات متوالدة عن بعضها إلى ما لانهاية، بحيث يكون كل واحد منها معلولاً لما قبله، وعلة لما بعده، دون أن تتبع هذه السلسلة من علة واجبة الوجود.

### \* دليل بطلان التسلسل \*

أنه يؤدي إلى وجود آلهة لا نهاية لها، كلٌ منها يتصف بالحدوث والافتقار والعجز، وهو باطل، لأنه مناف لمقام الألوهية من القدرة والغنى المطلق، إذ العاجز الفقير لا يصح أن يكون خالقاً للعالم البديع الاتقان.

### \* مثال بطلان التسلسل \*

إذا رأيت رقماً حسابياً طويلاً، يتراصف إلى جانبه عدد كبير من الأصفار، فأنتك تسرع لتتنظر قبل كل شيء إلى الرقم العددي الأول.

وما لم تقع عينك على ذلك الرقم، فانك لا تعطي قيمة للأصفار الكثيرة، ما لم تستند إلى ذلك الرقم ذاتي قبلها. .... ١

لأن الرقم الذي يملك قيمة ذاتية في داخله، هو الذي يضفي الحياة والقيمة على الأصفار المتسلسلة التي عن يمينه .

فسلسلة الأصفار التي لم تنته إلى رقم عددي هي خالية عن أية قيمة، وافترض التسلسل اللانهائي فيها لا يخلق لها أية قيمة.

## \* دليل العناية والاختراع (البرهان العلمي) \*

هذا الدليل هو أجلي الأدلة على وجود الله تعالى وأوضحها، وهو الذي ذكره ابن رشد في مناهج الأدلة باسم العناية والاختراع .

وهذا الدليل هو الذي نبه عليه القرآن الكريم، واعتمده الصحابة الكرام ﷺ، ويمكن بيانه كالاتي:

### الأول : دليل العناية (دليل النظام أو التناسق):

وهذا الدليل يتضح في عناية الله تعالى بالإنسان، وخلق جميع الموجودات من أجله.

ويبنى هذا الدليل على أصليين:

إن جميع الموجودات التي ههنا ( الوجود ) موافقة لوجود الإنسان.

إن هذه الموافقة هي (ضرورة) من قبل قاصد لذلك ضرورة، إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة

بالاتفاق.

والموافقة تحصل باعتبار الليل والنهار، والشمس والقمر لوجود الانسان، وكذلك الزمان والمكان الذي هو

فيه أيضاً، والحيوان والنبات، والجماد، والأمطار، والانهار، والبحار، والنار، والهواء ....

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ

وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ...﴾.

وكذلك أيضاً تظهر العناية في أعضاء الانسان، وأعضاء الحيوان، أي: كونها موافقة لحياته ووجوده.

ومن آيات القرآن الكريم التي بينت هذا الدليل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا، وَجَعَلَ

فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾.

### ثانياً: دليل الاختراع:

وهو ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، كاختراع الحياة في الجماد، والادراكات الحسية،

والعقل، ويدخل فيه، وجود الحيوان كله، ووجود النبات، ووجود السموات، وهذا الدليل يبنى على أصليين:

(١) إن هذه الموجودات مخترعة، فالسموات مثلاً نعلم من قبل حركتها التي لا تفتر، أنها مأمورة بالعناية بما

ههنا، ومسخرة لنا. والمسخر المأمور مخترع من قبل غير ضرورة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ تَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.

(٢) إن كل مُخْتَرَعٍ فله مُخْتَرِعٌ، فعلى من أراد معرفة الله حق معرفته، أن يعرف جواهر الأشياء ، ليقف على

الاختراع الحقيقي في جميع الموجودات، لأن من لم يعرف حقيقة الشيء، لم يعرف حقيقة الاختراع.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

وأما الآيات القرآنية التي جمع بين هذين الدليلين (العناية والاختراع)، فمنها: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

### والدليل العلمي:

هو الذي أكد عليه العلماء في العصر الحاضر خاصة، بعد أن اتسع نطاق العلم، وظهرت المخترعات الحديثة التي كانت سبباً في استكشاف آفاق العلم، والوقف على أسرار الطبيعة.

### \*المصادفة\*

قال: (هكسلي) صاحب نظرية (الصدفة): إن المصادفة هي التي أوجدت، ودبرت ما في الكون على هذا الشكل. والجواب: لا بد من التفريق بين أمرين:

(١) خلق الشيء، وفكرة المصادفة تستبعد منه، لأنه يؤدي إلى الدور الباطل.

(٢) ترتيب الشيء وتركيبه، وهي محل النظر والبحث.

### صيغة قانون المصادفة:

" إن حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص، بنسبة معكوسة مع عدد الأماكن المتكافئة المزدحمة".

لكن تطبيق هذا القانون، إنما يتم على المادة غير الحية، فدراسة الاحتمال على ضغط، أو غاز في وعاء، أو خليط من غازات قد يصح. ولكن على الخلية والاحياء الأخرى فإنه يقف، ولكي نفهم هذا القانون، وعدم سرياته لابد من أمثلة، منها:

### مثال الأول:

يقول الاستاذ كريسي موريسون:

ضع عشرة بنسات مرقمة من (١ - ١٠) في كيس، وابدأ بسحبها، ترى إن:

فرصة سحب رقم (١) هي بنسبة (١ - ١٠)، لأن كل رقم قد يكون له الحظ بالسحب .

وفرصة سحب رقم (١،٢) متتابعين هي بنسبة (١ - ١٠٠).

وفرصة سحب رقم (١،٢،٣) متتابعات هي بنسبة (١ - ١٠٠٠) .

وفرصة سحب رقم (١،٢،٣،٤) متتابعات هي بنسبة (١ - ١٠٠٠٠) .

وهكذا ... حتى تصبح فرصة سحب الارقام من (١ - ١٠) متوالية، هي بنسبة (١) إلى (١٠) مليارات.

### مثال الثاني:

لو فرضنا أنك تملك عدداً هائلاً من الحروف، إذا حاولت الآلف المرات سحب حرف بعد حرف من هذه المجامع

الكبيرة، وسطرتها واحداً بعد الآخر، فهل يظهر لك، مهما تكررت عملية السحب القرآن الكريم، أو ديوان المتنبي ...



## \*خداع الحواس\*

لا يمكن الاعتماد على الحواس، لأنها تخدع صاحبها في كثير من الأحيان، وأمثلة ذلك كثيرة، منها:

### أولاً: خداع البصر:

- (١) العصا المستقيمة المغمورة في الماء تبدو للناظر مكسورة.
- (٢) لا ترى العين الزجاج الصافية، مع أنها موجودة منظورة.
- (٣) لا ترى العين سطور الكتابة التي قربت إليها تقريباً شديداً.
- (٤) يقول علماء النفس: إنك لو أدمت النظر إلى نقطة في حائط، وبعدها نظرت إلى حائط آخر، ترى النقطة نفسها فيه، مع أنها لا وجود لها في الحائط الثاني.
- (٥) يرى المريض أشباحاً لا يراها غيره.

### ثانياً: خداع الأذن:

- (١) لا تسمع الأذان الأصوات الخافتة، كما لاتسمع الأصوات الشديدة، كصوت الاجرام السماوية، ومثلها تفجير القنابل السماوية الذرية التي تسمع الأذن منها إلا الصيحة الأولى، أما الانفجرات التي تليها، فلا تسمعها الأذن، مع أن آلات التسجيل يسجل أرقاماً عالية جداً، وذلك لأن أوتار كورتي الأذن، تسمع ذبذبة معينة محدودة، لا تسمع ما دونها، ولا ما فوقها.
- (٢) يسمع المريض أصواتاً، لا يسمعها غيره.

### ثالثاً: خداع اللمس:

لو وضعت في ثلاث أون ماءً حاراً، ودافئاً، وبارداً، ونقلت يدك من الحار إلى الدافئ، تجده بارداً، وإذا نقلتها من الدافئ إلى البارد، تحسبه بارداً جداً، وهذا من خداع الحواس.

### رابعاً: خداع الذوق:

- (١) هناك مواد عديمة الذوق، فلا تعمل فيها الحاسة.
  - (٢) إذا تذوقت مادة شديدة الحلاوة، ثم انتقلت بعدها إلى مادة أقل حلاوة من الأولى، تجدها خالية من الحلاوة.
  - (٣) المريض يحس الماء العذب مرراً.
  - (٤) لا تستطيع حاستا اللمس والذوق معرفة الحوامض والمركبات الكيميائية المحرقة.
- هذه الأمثلة وغيرها تبين لنا أن الحواس كثيراً ما تخدع، فلا يصح الاعتماد عليها في كشف الحقائق، لذلك كان العقل هو الحاكم على الحواس.

فكيف يمكن القول: بأن الله تعالى لم يدرك بالحواس، فلا ينبغي الإيمان به؟ هذا لا يقوله إلا جاهل لا يملك

مسحة من العقل.

## \*سبب الإلحاد\*

الاعتقاد بوجود الله تعالى، هو اعتقاد الفطرة التي فطر الناس عليها، وهو أساس كل جزئية يشتمل عليها الدين الإسلامي.

أما الإلحاد فهو طارئ على الفطرة، وقد حدد القرآن الكريم أسبابه بما يأتي:

### أولاً: الكبر:

قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا} (سورة الفرقان: ٢٢).

ففي الآية الكريمة بيان: أن الكبر وحده هو الذي دفعهم إلى تصور الحياة هي كل شيء، وليس وراءها إلاّ العدم.

### ثانياً: الانحراف:

قال الله تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (سورة القصص: ٣٨).

ففي الآية الكريمة بيان: أن الطريق فرعون طريق خاطيء، دفعه إليه انحرافه عن الطريق السوي، الذي يعرف به الله سبحانه وتعالى.

### ثالثاً: الظلم:

قال الله تعالى: { سَأَلْنَا أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مِثْلَ مَا نُنَزِّلُ لِنَعْلَمَ مِنْهُمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا } (سورة النساء: ١٥٣).

فكلمة (بظلمهم) تبين أن الذي دفعهم إلى أن يطلبوا مثل هذا الطلب، هو الظلم، ظلم النفوس للحق، إذ تعرفه وتنكر له.

وهذا الظلم غير (غير العدل) هو الذي دفع الكفار إلى إتهام المؤمنين بالله بأنهم: متوهمون، وكاذبون، وعاطفيون ... وهذا ما نراه اليوم من اتهاماتهم بأنهم غير علمين، غير صادقين، مشوشون، مخدوعون.

### رابعاً: الجهل:

قال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } (سورة البقرة: ١١٨).

ففي الآية بيان أن هذا القول كلام جهال غير عالمين، وأنه ليس بجديد، بل هو متعلق الكافرين دائماً، تشابه قلوبهم، وقررت أن الطريق إلى الله تعالى وآياته الدالة عليه.

## \*صفات الله تعالى\*

قسم المتكلمون الصفات الالهية إلى ما يأتي:

أولاً: الصفة النفسية.

ثانياً: الصفات السلبية.

ثالثاً: صفات المعاني .

### \*الصفة النفسية: وجود الله تعالى\*

عرفها سعدالدين التفتازاني بأنها: " صفة ثبوتية، يدل الوصف بها على نفس الذات، دون زائد عليها".

شرح التعريف:

(صفة) جنس يدخل فيه سائر الصفات .

(ثبوتية) نسبة إلى الثبوت، لكونها ثابتة في الذهن، فتخرج الصفات السلبية كالقدم، والبقاء ...

(على نفس الذات):

أي أنها لا تدل على شيء زائد على الذات، فالذات نفسها لا تتعقل إلا بوجودها ، ولذلك سميت نفسية.

### \*الصفات السلبية\*

قسم المتكلمون: الصفات السلبية إلى خمس، وهي:

القدم، والبقاء، والمخالفة الحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية.

ليس المراد بالصفات السلبية، أنها مسلوبة عن الله تعالى ومنفية عنه، وإلا لزم أن يثبت الله تعالى الحدوث،

وممثلة للحوادث.

بل المراد بكونها سلبية: إن كلَّ واحدة سلبت (نفت) أمراً لا يليق به تعالى .

فالقدم سلب لأولية الوجود.

والبقاء سلب لأخرية الوجود ... وهكذا.

والحق أن الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الخمسة، إذ من جملتها: أنه لا ولد، ولا زوجة، ولا بسيطاً،

ولا مركباً، وغير ذلك، وإنما اقتصر على هذه الخمسة، لأنها أمهاتها.

### أولاً: صفة القدم:

القدم في حقه تعالى بمعنى الأزلية، التي هي كون وجوده غير مستفتح ، فليس معناه تطاول الزمن، فإن

ذلك وصف الحادثات، أو بعبارة أخرى:

معنى القدم: هو أن وجود الله تعالى غير مسبوق بالعدم، فالله ليس له بداية. وضد القدم: الحدوث.

الدليل العقلي على قَدَمِهِ تعالى: إن الله تعالى لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، إذ لا وسط بينهما، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث يحدثه، ومحدثه يحتاج إلى محدث آخر ... وهكذا، فيلزم الدور أو التسلسل، وكل منهما محال، فوجب أن يكون قديماً.

الدليل النقلي على قَدَمِهِ تعالى: قوله تعالى: (الأول) في الآية الكريمة: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ} .

### تصور صفة القدم:

من السهل على الإنسان أن يفهم صفة الرحمة والعدل والجلال ... في ذات الله تعالى، لأنه يفهم آثارها، ويستطع أن يدرك معانيها في الحياة بحواسه، إلا أنه يستحيل عليه أن يدرك صفة القدم أو صفة البقاء، لأنه لا يحتفظ بصورة لها في الحياة، لأنها خاصة بذات الله تعالى. لكن لا تعني الاستحالة الخيالية انكار هاتين الصفتين، لأن العقل يجزم بثبوتهما.

### ثانياً: صفة البقاء:

ومعناه: إن الله تعالى أبدي، ليس لوجوده آخر، فيستحيل أن يلحقه العدم والفناء. و ضد البقاء: الفناء.

الدليل العقلي على بقاءه تعالى: لو لم يكن الله تعالى باقياً، لكان فانياً، ولو كان فانياً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث، ومحدثه إلى محدث... وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل وكلاهما باطل فنثبت بقاءه تعالى. لو جاز تعالى عليه العدم لاستحال عليه القدم، وهو باطل لثبوت قدمه تعالى . لو جاز عليه العدم لاحتاج انعدامه بعد وجوده إلى علة (استحالة ترجيح بلا مرجح). الدليل النقلي على صفة البقاء:

قوله تعالى: {الآخر} في الآية الكريمة: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} . وقوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}.

### ثالثاً: صفة المخالفة للحوادث:

ومعناه: إن الله تعالى ليس مماثلاً لشيء من الحوادث الموجودة والمعدومة مطلقاً، فهي عبارة عن: سلب الجرمية، والعرضية، والكلية، والجزئية، ولوازمها عنه تعالى. فلازم الجرمية هو التحيز، ولازم العرضية هو القيام بالغير، ولازم الكلية هو الكبر، ولازم الجزئية هو الصغر. وضدها: أي ضد المخالفة للحوادث، المماثلة للحوادث. الدليل العقلي على ذلك: أنه تعالى لو لم يكن الله تعالى مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً، ولو كان مماثلاً للحوادث، لكان حادثاً مثلها، ولو كان حادثاً لاحتاج إلى محدث، ومحدثه إلى محدث... وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل، فنثبت مخالفته للحوادث تعالى.

كل من وجب له القدم، استحال عليه العدم، ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العدم ، فلا شيء منها  
بقديم، فثبت مخالفته للحوادث.

الدليل النقلى: قوله تعالى: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}**.

ونفى المماثلة تفيد الأمور التالية:

(١) أنه تعالى ليس بعرض، لما يأتي:

(أ) لأن العرض يحتاج إلى جسم يقوم به، فيستحيل وجود العرض قبل الجسم، وقد ثبت أن الله تعالى موجوده.

(ب) لأن احتياجه إلى شيء يقوم به علامة الحدوث.

(٢) وليس بجوهر:

(أ) لأنه ملازم للعرض، والعرض حادث، فيلزم حدوثه.

(ب) لأنه يوهم التركيب والتحيز.

(٣) وليس بجسم:

لأن الجسم مؤلف من جواهر وأعراض، وقد ثبت حدوثهما فيما تقدم، وذلك خلافاً:

للمجسمة: الذين قالوا بأنه تعالى جسم حقيقة، لكنهم اختلفوا:

فقال بعضهم: هو مركب من لحم ودم. وبعضهم قال: أنه نور يتلألأ كالسيكة البيضاء.

وقال آخرون: أنه على صورة انسان شاب أمرد.

وبعضهم قال: بل أنه على صورة شيخ أشمط الرأس واللحية ... تعالى عما يقولون كفراً عظيماً.

(٤) وليس له صورة، أو لون، أو رائحة أو عوارض النفس من لذة، وألم، وفرح، لأن ذلك من خواص

الأجسام.

(٥) ولا يوصف بالصغر أو الكبر: (والكبر يراد به الحسي، أما المعنوي فيوصف به، لقوله تعالى: **{وَهُوَ الْعَلِيُّ**

**الْكَبِيرُ}**.

## \*النصوص الموهمة للمشابهة\*

وردت في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة نصوص تضيف إلى الباري عز وجل صفات خبرية، كالاستواء، والمجيء، والنزول...

فاختلفوا فيها على أقوال ثلاثة، مع اتفاق العلماء على تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، وهي:

### الأول: التوقف:

ومعنى التوقف، التوقف الكامل من غير جنوح إلى التأويل، أو سقوط في التشبيه، وهو مذهب السلف الصالح، فهؤلاء آمنوا بهذه الصفات الخبرية، وأجروها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل، لذا قال كثير منهم (أقرؤوها كما جاءت)، أي: آمنوا بأنها من عند الله تعالى، ولا تتعرضوا لتأويلها ولا لتفسيرها. وقد فسر الإمام مالك بن أنس قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، بقوله: "الاستواء معلوم، ولا يقال كيف، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

ومعنى قوله: (الاستواء معلوم) معناه معلوم وروده في القرآن أي بأنه مستوٍ على عرشه استواءً يليق به. ومعنى: (والكيف غير معقول) أي: الشكُّ والهيئة والجلوس والاستقرار كمخلوقاته هذا غير معقول، أي لا يقبله العقل ولا تجوز على الله سبحانه وتعالى.

### الثاني: التوغل في التشبيه:

فمنهم من شبه في الذات باعتقاد اليد، والقدم والوجه والعين والساق... فوقعوا في التجسيم الصريح، ومخالفة أي التنزيه المطلق. ومنهم من شبه في الصفات كإثبات الجهة، والاستواء، والنزول، والصوت، والحرف، وأمثال ذلك، فأل قولهم إلى التجسيم، وذلك تمسكاً بالتفسير الحرفي للآيات، والأحاديث الموهمة للتشبيه والتجسيم.

### الثالث: التأويل:

وهو ما ذهب إليه المعتزلة، وأخذ به - مع تعديلات طفيفة - عامة المسلمين من شيعة، وماتريديّة، وأشاعرة. وفي ذلك يقول الإمام الرازي: "جميع الفرق الإسلام مقرون بأنه: لا بد من التأويل في بعض ظواهر القرآن والأخبار".

وذلك لأنه ثبت عندهم بالدليل القطعي، أنه تعالى منزّه عن الجسمية والجهة، ولا سبيل للقضاء على التشبيه، إلا إذا أولت الصفات الخبرية الواردة بالنصوص.

وحين رأى العلماء أن فتح باب التأويل له أضراره الجسمية، وضعوا له القواعد حتى لا يؤدي إلى التلاعب بالنصوص وفق الهوى، دون الالتفات إلى أصول الشريعة ومقاصدها.

قال شيخ عز الدين بن عبد السلام: "طريقة التأويل بشرطها، أقربهما إلى الحق".

ويعني بشرطها: أن يكون على مقتضى لسان العرب.

## رابعاً : صفة القيام بالنفس :

معنى القيام بالنفس شينان:

### أولاً: عدم افتقاره إلى محل، وللمحل تفسيران :

(١) الذات التي يقوم بها، لا بمعنى المكان، لأن ذلك علم من مخالفة الحوادث.

(٢) الذات والمكان معاً.

### ثانياً: عدم افتقاره إلى المخصص، أي الموجد.

وضدها: الاحتياج إلى غيره.

الدليل العقلي على القيام بالنفس:

الدليل على عدم افتقاره إلى مخصص:

أنه لو افتقر إلى مخصص، لكان حادثاً، كيف وقد سبق وجوب وجوده، وقدمه، وبقائه، ذاتاً وصفاتاً.

الدليل النقلى على القيام بالنفس :

(١) قول الله تعالى: {يَأْيُهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}.

(٢) وقوله الكريم: {إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

### خامساً: صفة الوجدانية :

معنى الوجدانية: هي: عدم التعدد في الذات، وعدم التعدد في الصفات، وعدم التعدد في الأفعال.

فالوجدانية في الذات تنفي (الكَم المتصل) الذي هو التركيب، أي تركيب الذات من أجزاء.

وتنفي (الكَم المنفصل) الذي هو التعدد، بحيث يكون هناك الهان فأكثر.

والوجدانية في الصفات: تنفي (الكَم المتصل) الذي هو التعدد صفتين من جنس واحد كقدرتين فأكثر.

وتنفي (الكَم المنفصل) الذي هو اثبات صفة لغيره تعالى تشبه صفته، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها

ويعدم كقدرته تعالى، أو ارادة تخصص الشيء ببعض الممكنات.

والوجدانية في الأفعال: تنفي (الكَم المنفصل) فقط، الذي هو اثبات فعل لغيره تعالى على طريق اليجاد

والخلق.

وضدها: التعدد في الذات أو الصفات (اتصالاً وانفصالاً) وفي الأفعال (انفصالاً) .

## \*صفات المعاني\*

وهي سبع:

(١) القدرة.

(٢) الإرادة.

(٣) العلم.

(٤) الحياة.

(٥ - ٦) السمع، والبصر .

(٧) الكلام.

ومعنى كونها صفات معان:

إن لكل صفة منها معنى وجودي قائماً بذات الله تعالى.

وسميت ذاتية: لأنها لا تنفك عن الذات.

وهذا القسم هو الذي تنازع فيه المعتزلة والاشاعرة ومن وافقهم.

## \*النزاع في صفات المعاني\*

اتفق المسلمون جميعاً من فلاسفة ومتكلمين، على أن الله تعالى واحد، يتصف بصفات الكمال الثبوتية

الواجبة لذاته تعالى، والتي أطلقها الله تعالى على نفسه، إلا أنهم اختلفوا في تفسير صفات المعاني، على قولين :

### **الأول: وهو قول جمهور الأشاعرة والناصريين (أهل السنة والجماعة)، وهو:**

إن الله تعالى سميع بصفة تسمى سمعاً، وبصير بصفة تسمى بصراً، وعليم بعلم، وقدير بقدرة، ومريد

بإرادة، ومتكلم بكلام، وحي بحياة.

### **وهذه الصفات:**

(١) أزلية، أي: ليست حادثه، لأن الله تعالى الواجب الوجود، لا تقوم الحوادث بذاته.

(٢) قائمة بذاته، أي: ليست قائمة بذاتها، أي: ليست وجوداً خارجياً مستقلاً.

(٣) وهي ليس غير الذات، ولا عين الذات، ولكنها زائدة على الذات (لا هو ولا غيره).

أي أن كلا من الذات المقدسة وصفاتها لا يتصور انفكاك أحدهما عن الآخر من حيث الوجود، وإن كان

مفهوم الذات غير مفهوم الصفة.

وعندئذ لا تؤدي إلى تعدد وكثرة، لأنه لا غيرية بين الصفة والذات، ولا انفكاك بينهما، ولا انتقال.

أدلتهم:



(أ) إن الله تعالى أطلق على نفسه هذه الأسماء في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، والمفهوم في اللغة من عليم: ذات له علمٌ، ومن قدير: ذات له قدرة ...

بل يستحيل عند أهل اللغة: عليم بلا علم، كاستحالة علم بلا معلوم، او كاستحالة عليم بلا معلوم، فلا يجوز صرفه عن معناه إلا لقاطع عقلي، ولم يوجد فيه ما يصلح شبهة، فضلاً عن وجود دليل.

(ب) لو كان العلم نفس الذات، والقدرة نفس الذات، كما قالوا، لكان العلم نفس القدرة، فكان المفهوم من العلم والقدرة أمراً واحداً، وأنه ضروري البطلان، وكذا الحال في باقي الصفات، التي ادعي انها عين الذات.  
(ج) لو كان علمه ذاته - كما قالوا - لكان العلم - مثلاً - واجباً معبوداً، صانعاً للعالم، موصوفاً بالكمال.

### الثاني: مذهب المعتزلة والفلاسفة والامامية.

أصحاب هذا المذهب نفوا الصفات الزائدة على الذات.

وقالوا: إن الله عالم بالذات بلا علم، وقادر بالذات بلا قدرة، وسميع بالذات بلا سمع ... فهم قالوا: إن القديم ذات واحدة قديمة، ولا يجوز إثبات ذوات قديمة.

### واحتجوا على صحة مذهبهم هذا:

إن القول بتعدد القدماء - الذات والصفات - كفر بالاجماع، وبه كفرت النصارى حين قالوا: الذات الالهية أقانيم ثلاثة قديمة.

ويمكن مناقشة دليهم هذا:

إن الكفر إثبات ذوات قديمة، لا اثبات ذات واحدة وصفات قدماء.

ثم إن نفي الصفات يجعل الالهية فكرة مجردة، لا مضمون فيها، هي أشبه بالعدم.

قال الرازي: "المشبهة يعبد صنماً، والمعطل يعبد عدماً".

وهذا الاختلاف بين الفرق الاسلامية ينتهي جميعاً إلى القول: بوحداية الله تعالى، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به.

إلاً أن سياسة المعتزلة أيام المأمون والمعتصم والواثق، انتهجت سبيل الشدة تجاه مخالفيهم، فوسعت شقة الخلاف بين الطرفين.

وقال الدواني: "واعلم أن مسألة زيادة الصفات وعدم زيادتها، ليس من الأصول التي يتعلق بها تكفير أحد الطرفين ... ولا أرى بأساً في اعتقاد أحد طرفي النفي والاثبات في هذه المسألة.

## \* سبب ظهور مشكلة صفات المعاني \*

اختلف الباحثون في سبب ظهور مشكلة الصفات الالهية على قولين:

### أولهما: ظهرت بتأثير أجنبي خارجي، لكنهم اختلفوا في هذا المصدر على أقوال:

(١) علم الكلام المسيحي: وخاصة عن طريق كتابات القديس يوحنا الدمشقي<sup>(١)</sup>، بحجة: التشابه بين الفكرين المسيحي والاسلامي في أكثر من فكرة في معالجة هذه المشكلة، ويؤيد هذا الرأي: ما قاله الشهرستاني في صدد الرد على أبي الهذيل العلاف: "وإذا أثبت أبو الهذيل هذه الصفات وجوها للذات، فهي بعينها أقانين النصرى".

(٢) اليهودية بحجة: إن قول المعتزلة: (القرآن مخلوق) مقتبس من قول اليهود (التوراة مخلوقة). وذكر ابن قتيبة: "أول من قال بخلق القرآن هو المغيرة بن سعد العجلي، وكان من اتباع عبدالله بن سبأ اليهودي".

(٣) الفلاسفة: وذلك للصلات الفكرية بين الفلاسفة والمتكلمين، وخاصة بين المعتزلة وبين الفلاسفة اليونانية.

### ثانيهما: ظهرت نتيجة حتمية للتطور الفكري داخل الاسلام نفسه، بحجة:

(١) إن المشكلة ظهرت نتيجة النقاش الديني، الذي دار في صفوف الخوارج حول مرتكب الكبيرة، الذي جرَّ إلى بحث مشكلة القضاء والقدر، ثم مشكلة الصفات الالهية ...

(٢) التمسك بحرفية الصفات الخبرية الواردة في القرآن الكريم.

وحمل تلك الصفات على معانيها الحقيقية دون المجاز، الذي تطور من مشكلة لغوية إلى فلسفية بمعانيها المصطلح .

## \* تاريخ المشكلة \*

يقولون إن أول من نفى الصفات الالهية شخصان هما:

الجعد بن درهم ، والجهم بن صفوان، وقد بنى الجهم فكرته على ركنين هما:

(١) لغوي: قال: المماثلة هي: الاشتراك في الاسم، وكان يقول: لا أصف الباري تعالى بوصف يجوز إطلاقه على غيره كحي وعالم ومريد ... ولذا أثبت الجهم لله تعالى صفة القدرة والخلق والايجاد ، لأنه لا أحد يوصف بهذا من الخلق .

(٢) فلسفي: كان الجهم جبرياً، فنفى القدرة الانسانية والاستطاعة، فالانسان مجبر في أفعاله جميعاً.

(١) يوحنا الدمشقي، ولد في دمشق حوالي سنة (٦٧٥ م)، وهو من آباء الكنيسة، حفيد منصور بن سرجون رئيس ديوان المالية على عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ، قاوم نهضة محطمي الصور، ألف في اللاهوت والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر والألحان الدينية، مهد بمؤلفاته إلى نشأة تعليم الفلسفة واللاهوت في أوروبا، ترجمت بعض مؤلفاته إلى العربية، منها كتابه (منهل المعرفة) ومات سنة (٧٤٩م) (يُنظر: المنجد في اللغة والأعلام: ٧٥٣).



## أولاً : صفة القدرة:

هي صفة أزلية يتأتى بها إيجاد كل ممكن وأعدامه.  
وضدها: العجز.

(١) هو أنه تعالى لو لم يتصف بالقدرة ، لكان عاجزاً.

(٢) ولو كان عاجزاً، لما وجد شيء من هذه الحوادث المحكمة الصنعة المرتبة المتقنة، وعدم وجود شيء من الحوادث باطل بالمشاهدة.

(ب) لو كان الله تعالى عاجزاً، لكان ناقصاً، والنقص على الله تعالى محال.

(ج) لو كان الله تعالى عاجزاً، لكان ناقصاً، ولو كان ناقصاً، لاحتاج إلى من يكمله، ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر ... وهكذا يلزم الدور والتسلسل، وكلاهما باطل.

### الدليل النقلى:

قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }.

وقوله تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا }.

## ثانياً : صفة الإرادة:

صفة أزلية، تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه، من وجود، أو عدم، ومقدار، وزمان، ومكان، وجهة.  
وضدها: الإكراه.

### الدليل العقلي:

(١) الله تعالى صانع العالم بالاختيار، ومن كان كذلك تجب له الإرادة، فالله تعالى تجب له الإرادة.

(٢) لو لم يكن الله تعالى مريداً لكن مكرهاً، ولو كان مكرهاً لكان عاجزاً، ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من المخلوقات.

وعدم وجود شيء من هذه المخلوقات باطل بالمشاهدة، فثبت إرادته تعالى .

### الدليل النقلى:

(١) قوله تعالى: { فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ }.

(٢) وقوله تعالى: { يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ }.

## \* الإرادة لا تستلزم الرضا \*

ذكر شارح العقيدة الطحاوية أن: الذي عليه أهل السنة والجماعة: إن الله تعالى يريد الكفر من الكافر وشأوه، ولا يرضاه، ولا يحبه، فيشأوه كوناً، ولا يرضاه ديناً.  
وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا أن الله تعالى شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، فردوا إلى هذا، لنلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه.  
ولكن صاروا كالمستجبر من الرمضاء بالنار، فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه.  
فإنه يلزم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه - على حسب قولهم - والكافر شاء الكفر.

فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى، وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل.

ومنشأ الضلال كان من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا:  
فقال الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً.  
وقالت القدرية: ليس المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدره ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

إلا أن أهل السنة فرقوا بين المشيئة والمحبة، واستدلوا على المشيئة والإرادة بأدلة منها:

- (١) قوله تعالى: {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.
- (٢) قوله تعالى: {مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.
- (٣) قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِيدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ}.

### الأدلة على المحبة والرضا:

- (١) قوله تعالى: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ}.
- (٢) وقوله تعالى: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}.
- (٣) وقوله تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والتكبر: {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا}.

ومن السنة النبوية الشريفة التي تدل على المحبة والرضا:

قول رسول الله ﷺ: {إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ}.

## ثالثاً ورابعاً: السمع والبصر:

السمع صفة أزلية: شأنها إدراك كل مسموع وإن خفي.  
فهي صفة تكشف بها المسموعات من غير آلة، فلا يغرب عن سمعه شيء وإن خفي، ولا يحجب سمعه بُعد، ويسمع من غير أصمخة، وأذان.  
وضدها: الصمم.

البصر: صفة أزلية شأنها إدراك كل مبصر، وإن لطف.  
فهي صفة تتكشف بها المرئيات من غير آلة، فلا يغيب عن بصره مرئي وإن دق، ولا يدفع رؤيته ظلام، ويرى من غير حدقة وأجفان. وضدها العمى.  
فهاتان الصفتان ليستا محدودين، خلافاً لسمع الانسان وبصره.

### الدليل العقلي :

(أ) السمع والبصر صفة الكمال، وقد اتصف بها المخلوق، فهو تعالى الأحق بالاتصاف بهما، وإلا لزم أن يكون للمخلوق من صفات الكمال ما ليس للخالق.  
(ب) هو أن الله تعالى لو لم يتصف بالسمع والبصر، لزم أن يتصف بوضدهما، وإذا ثبت اتصافه بوضدهما، كان ذلك نقصاً، والنقص عليه محال، فثبت اتصافه بالسمع والبصر.

### الدليل النقلى :

(أ) قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}.  
(ب) وقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

## خامساً: العلم:

صفة أزلية - تكشف المعلومات عند تعلقها بها.  
وضدها: الجهل وما في معناه، كالظن، والشك والوهم، والذهول، والغفلة، والنسيان والسهو.  
الدليل العقلي:

(أ) الله تعالى فاعل فعلاً متقناً محكماً، وهذا ظاهر لمن نظر في الآفاق، والنفوس، والأحياء، ومن كان فعله متقناً كان عالماً. لأن من رأى خطأ حسناً يتضمن ألفاظاً عذبة رشيقة، تدل على معان دقيقة، علم بالضرورة إن كاتبه عالم.

(ب) لو لم يكن الله عالماً، لكان جاهلاً، لما وجد هذا العالم على هذا النظام الدقيق، الذي يدل على أن خالقه عالم بما تقتضيه مصلحته علماً كاملاً.

(ج) لو كان الله تعالى جاهلاً، لكان نقصاً، ولو كان ناقصاً لاحتاج إلى من يكمله، ومكمله يحتاج إلى مكمل آخر ... وهكذا يلزم الدور أو التسلسل، وكلاهما باطل.

## الدليل النقلي:

(أ) قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

(ب) قوله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}.

(ج) قوله تعالى: {إِنَّكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ}.

## سادساً: صفة الكلام.

الكلام صفة تدل على جميع المعلومات.

وضدها البكم.

الدليل العقلي على ذلك:

هو انه تعالى لو لم يكن متكلماً، للزم أن يتصف بضده، واتصافه بضده نقص، وهو باطل، لأن النقص لا يرضى به المخلوق، فكيف بالخالق؟ فنثبت اتصافه بصفة الكلام.

الدليل النقلي على صفة الكلام:

(١) قول الله تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}.

(٢) قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ

بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

اختلف المتكلمون في كلامه تعالى على أقوال:

**أولاً: أهل السنة والجماعة: (الأشاعرة والماتريدية).**

قالوا: كلامه تعالى نوعان:

(١) كلام نفسي: وهو الكلام حقيقة، المعبر عنه بالألفاظ، ليس من جنس الأصوات والحروف، بل صفة أزلية

قائمة بذاته تعالى. وهو قديم (لامتناع قيام الحوادث بذاته تعالى). وهو قائم بذاته تعالى.

(٢) كلام لفظي: وهو الحروف والأصوات، وهذا يقولون بحدوثه، وعدم قيامه بذاته تعالى، وهو القرآن الكريم،

وسائر الكتب. فالقرآن الكريم بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو

مخلوق.

## ثانياً: المعتزلة والشيعة الامامية:

قالوا كلامه تعالى حروف وأصوات، ولكنها ليست قائمة بذاته، وإنما يخلقها الله تعالى في غيره كاللوح

المحفوظ أو الملك جبريل أو النبي، وهو حادث.

فالمعتزلة يقولون بحدوث الكلام، زعماً منهم أن من لوازمه الحروف والاصوات، وذلك مستحيل على

الله تعالى، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق، لأن الله خلقه في بعض الأجرام.

وحين ذهب المعتزلة إلى هذا الرأي قالوا: القرآن كلام الله مخلوق، رأوا أن مقالة أهل السنة: بأن القرآن كلام الله غير مخلوق قد يتخذها النصارى حجة أو ذريعة للتشكيك، لحمل المسلمين على اعتقاد: أن المسيح إله أو قديم.

روي أن يوحنا الدمشقي كان يلقن بعض المسيحيين ليجادلوا المسلمين، فيقول: {إذا سألك المسلم: ما تقول في المسيح؟ فقل: أنه كلمة الله تعالى.

ثم ليسأل النصراني المسلم: بم سمي المسيح في القرآن؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجبه المسلم، لأنه سيضطر إلى أن يقول: {إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه}. فليسأله عن كلمة الله وروحه، أمخلوقة هي أم غير مخلوقة؟ فإن قال مخلوقة، فليرد عليه: بأن الله كان ولم تكن كلمة ولا روح، فإن قلت ذلك فسيفحم المسلم، لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين.

### ثالثاً: مبتدعة الحنابلة (الفلاة).

قالوا: كلامه تعالى عبارة عن حرف وصوت، يقومان بذاته تعالى، وهو قديم، حتى غلا بعضهم جهلاً، فقال: الجلد والغلاف قديمان، فضلاً: عن المصحف. وهو قول باطل لأن:

حصول كل حرف ووجوده لا يمكن تحققه إلا بعد انقضاء الحرف الذي قبله، فيكون الحرف الأول منقضياً، ويكون الذي بعده أول، وقد علمنا أن ما ينقضي ويتأهى أو يكون له أول، لا يمكن أن يكون قديماً، فيكون حادثاً، وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

### سابعاً: صفة الحياة:

صفة أزلية توجب صحة العلم والارادة وباقي الصفات المعاني والمعنوية، وليس معنى الحياة في حقه تعالى ما يقوله الطبيعي من قوة الحس ولا قوة التغذية، ولا قوة التابعة للاعتدال النوعي، كما ان حياة الله بلا روح، بخلاف الحياة فأنها بالروح.

### الدليل العقلي:

(أ) لو لم يتصف الله تعالى بالحياة، لما صح اتصافه بالقدرة والارادة والعلم، لأنه لا يتصور قيامها بغير حي، وهو محال.

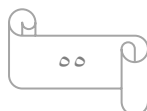
(ب) الحياة صفة الكمال، ونقيضها نقص، والله تعالى منزه عن النقائص.

(ج) اتصافه تعالى بصد الحياة، لا تجعله واهب الحياة، لأن فاقده الشيء لا يعطيه.

### الدليل النقلى:

(١) قوله تعالى: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} .

(٢) قوله تعالى: {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}.



## \* رؤية الله تعالى \*

اختلفت فرق المسلمين في رؤية الله تعالى في اليوم الآخر على قولين:

**القول الأول:** تجوز الرؤية: وهو قول جمهور المسلمين، بدليل النقل والعقل.

قالوا: يرى من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام، ومن غير إحاطة، بل يحار العبد في العظمة والجلال، حتى لا يعرف نفسه، ولا يشعر بمن حوله من الخلائق، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم، ويتلاهى الكل في جنب عظمة الله تعالى .

**ودليله من المنقول:**

(١) قوله تعالى: {وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [سورة القيامة: ٢٣] ناضرة: أي جميلة. وناظرة: من النظر أي الرؤية. ذلك لأن:

(١) النظر: يفيد الرؤية إذا تعدى بـ (إلى): {وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ}.

(٢) ويفيد الانتظار إذا تعدى بنفسه، كقوله تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ

مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [سورة الحديد: ١٣].

(٣) ويفيد معنى التفكير والاعتبار إذا تعدى بفي، مثل: نظرت في الكتاب والأمر.

(٤) ويفيد معنى الرأفة إذا تعدى باللام، مثل: نظر السلطان لفلان.

(٢) قوله تعالى: {قَالَ لَنْ تَرَانِي} والاستدلال بها على الرؤية من وجوه:

(أ) إنه لا يظن بكليم الله تعالى ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته، أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو

من أعظم المحال، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية.

(ب) قال تعالى: {قَالَ لَنْ تَرَانِي}، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي.

والفرق بين الجوابين ظاهر وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن سيدنا موسى ﷺ لا تحتمل قواه

رؤيته في هذه الدار - الدنيا - ، لضعف قوى البشر فيها رؤيته تعالى.

يوضحه: قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ

أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ

سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الأعراف: ١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت

للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف.

(٤) قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ}، وجه الاستدلال بالآية الكريمة:

إن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم إن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، ويكون بالنفي

إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، وبنفي الموت الذي يتضمن كمال

الحياة.



(٥) حديث صحيح روى أبو هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟، فقال رسول الله ﷺ: {هل تضارون في القمر ليلة البدر؟}، قالوا لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟، قالوا لا يا رسول الله، قال: فأنكم ترونه كذلك.

وعد ابن القيم في حادي الأرواح رواة من روي رؤية الباري عز وجل، فزادوا على الحد (نحو ثلاثين صحابياً).

### الاجماع:

أجمع الصحابة والتابعون على: أن الله تعالى يرى في الآخرة، لابتهاهم إلى سبحانه وتعالى في طلب لذة النظر إلى وجهه الكريم واعتقادهم بذلك، كان ذلك بقرائن من أحوال رسول الله ﷺ، وجملة من ألفاظه الصريحة التي لا تدخل تحت الحصر.

قال الإمام مالك: "لما حجب أعداؤه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه، ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يعير الكافرون بالحجاب"، قال تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [سورة المطففين: ١٥]. وقال الشافعي: "لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان ذلك دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا".

### القول الثاني: الجهمية والمعتزلة والخوارج والامامية والنجارية والزيدية من الشيعة.

ذهب أصحاب هذا القول إلى أنه لا تجوز رؤية الله تعالى، مستدلين بالنقل والعقل.

فمن المنقول: قوله تعالى: {لَنْ تَرَانِي}، وقوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}.

ويمكن مناقشة أدلتهم: بأن هاتين الآيتين دليل عليهم لا لهم كما تقدم .

وزعم الزمخشري - وهو من المعتزلة بأن (لن) في قوله تعالى: {لَنْ تَرَانِي} تفيد التأبيد، تأييداً لما ذهبوا

إليه من استحالة الرؤية.

### ورد بما يأتي:

(١) إن (لن) لا تفيد التأبيد، والدليل على ذلك: إن الله تعالى أخبر عن اليهود بأنهم لن يتمنوا الموت أبداً، بقوله

تعالى: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}.

مع أن الكفار يتمنون الموت في الآخرة، ليتخلصوا من العذاب، لقوله تعالى: {وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ

عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ}، فلو كانت (لن) للتأبيد الشامل للدنيا والآخرة كما يزعم المعتزلة لما جاز أن يتمنى

اليهود والكفار الموت في الآخرة.

(٢) (لن) للتوكيد، بدلالة قوله تعالى: (أبداً) قال ابن مالك :

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبِّداً \* فَقَوْلُهُ أُرْدُدُ وَسِوَا فَاعْضُداً

وإذا أريد بها التأبيد فهو على تأبيد النفي في الدنيا لا بالآخرة، بدلالة (لن) في الآية المتقدمة: {وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ

أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ}.

## الأدلة العقلية:

إنه لو كان تعالى مرئياً، لكان مقابلاً للرأئي بالضرورة، فيكون في جهة وحيز.

ورد عليهم:

بأن لزوم الجهة والحيز ممنوع، إذ الرؤية نوع كشف وعلم للمدرك وكقوة يجعلها الله تعالى في الرائي، من غير أن ينقص منه قدر من الإدراك، ولا يشترط فيها: مقابلة المرئي بجهة أو في جهة معها مسافة، ومن غير احاطة بمجموع المرئي.

وأخيراً: فإن هذا الخلاف ليس بالأمر الخطير، ما دام الفريقان ينزهان الله تعالى عن الجهة والتجسيم.

فالفريق الذي ينكر الرؤية، يريد بانكارها تنزيه الله تعالى عن الجهة والتجسيم.

والفريق الذي يثبت الرؤية رأى النصوص والأدلة صريحة باثباتها فأثبتها، ولكي ينزه الله تعالى عن الجهة والتجسيم فقال: (يرى من غير كيفية ولا احاطة).

ثم إن الرؤية التي قالوا بها تكون في الآخرة، وأوضاع الآخرة لا تشبه الحياة الدنيا، كما هو معلوم.

### \* رؤية الله تعالى في الدنيا \*

اتفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا، إلا أنهم اختلفوا في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا:

فمنهم من أثبتها، ومنهم من نفاها، وكل من الفريقين يستدل بالأدلة السمعية.

ولما كان التنازع في هذه المسألة ماثوراً، فقال بكل منهما بعض الصحابة، ولما كان الاحتمال للقولين

ممكناً، فلا يدعو عندئذ إلى الجزم بواحد من القولين.

## \* القضاء والقدر \*

اختلف المتكلمون في تفسير القضاء والقدر على أقوال متعددة، منها ما قاله الماتريدي:  
القضاء: هو إيجاد الله تعالى الأشياء على وجه الأحكام والاتقان.  
والقدر: هو علمه تعالى أزلاً بصفات المخلوقات، أي ما تكون عليه من حسن وقبح ونفع وشر.  
وعليه فيكون القضاء حادثاً، فهو صفة فعل. ويكون القدر قديماً، لأنه راجع إلى صفة العلم.  
وهذا القول موافق للغة، وهو أجدر الأقوال بالقبول، لأن أشهر معاني القضاء في اللغة الحكم، وهو يرجع إلى الفعل، فتناسب تفسيره في الاصطلاح بالفعل.  
وأما القدر فلم يرد أن معناه في اللغة الفعل، فناسب أن لا يفسر في الاصطلاح بالفعل، بل بالعلم.  
وقال الأشاعرة بعكس ذلك، فجعلوا تعريف القضاء للقدر، وتعريف القدر للقضاء.

## \* الايمان بالقضاء والقدر وعلاقته بالجبر \*

الايمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الايمان، ورد بذلك بالحديث الصحيح حين جاء جبريل يسأل النبي ﷺ عن الاسلام والايمان يريد تعليم المسلمين أحكام دينهم، قال جبريل: { فأخبرني عن الايمان قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال صدقت }.

والمراد من الايمان بالقضاء والقدر هو:

- (١) التصديق بأن البارئ عز وجل عالم بالمخلوقات جميعاً في الأزل، وما يتعلق بها في المستقبل، كعلمه بالأزل بأن المرء يبائر الأسباب بإرادته واختياره المحض، ثم يجازيه عما فعل.
- (٢) التصديق بأن المخلوقات جميعاً وجدت بإرادته ووفق علمه الأزلي، قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ } [سورة يس: ١٢].

وعلى ذلك فلا علاقة بين الايمان بالقضاء والقدر، وبين الجبر والاختيار، لأن علم كاشف عما سيقع.  
يقول النووي: " قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله سبحانه وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه: الإخبار عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها ".

سئل عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) عمّن يرتكب الموبقات، ويقولون كان ذلك في علم الله، فغضب، وقال: كان ذلك في علمه، ولم يكن علمه يحملهم عليها، فإله تعالى يعلم بعلمه الأزلي أن الناس سيختارون طرقاً مختلفة، فيسر لهم ما يختارون، وأقرهم عليه.

فعلمه تعالى الأزلي لا يعني جبر الإنسان على فعل ما، فالأستاذ مثلاً يعلم مقدماً أن التلميذ المهمل سيرسب في الامتحان، فهل يمكن للراسب أن يحتج على الأستاذ فيقول له: إن علمك برسوبي هو الذي رسبني، لا يقول بهذا أحد.

فعلم الله تعالى صفة كاشفة، ليس لها تأثير كالقدرة، فلا تعني إجبار العباد على شيء.

## \* الأخذ بالأسباب والايان بالقضاء والقدر \*

الايان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل على الانسان أن يجد ويسعى، قال تعالى: {فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور} فلا كسل ولا تواكل.  
وأمره أن لا يلقي بنفسه إلى التهلكة، قال تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة}.  
وأمره أن يجاهد في سبيل الله، قال تعالى: {خذوا حذركم}.

## \* ظهور مسألة القضاء والقدر \*

أثيرت مسألة القضاء والقدر عند علماء المسلمين، لمّا رأوا أن أدلة الكتاب والسنة والعقول متعارضة بينها:

فيما يدل على ان الانسان مجبر على فعله:

- (١) قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [سورة التوبة: ٥١].
- (٢) قوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [سورة الصافات: ٩٦].
- (٣) قول الرسول ﷺ: {الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره} (١).
- (٤) ومن حجج العقل: أننا لو قلنا بأن العبد مخير وهو خالق أفعاله، لكانت قدرة الله تعالى محددة وغير شاملة، وأن العبد شريك لله تعالى في إيجاد العالم.  
ومما يدل على أن الانسان مخير ليس مجبوراً:  
(١) قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ} [سورة المدثر: ٣٨].  
(٢) وقوله تعالى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ} [سورة الكهف: ٢٩].  
(٣) ومن حجج العقل: إننا لو قلنا بأن الانسان مجبر، فقدرته لا أثر لها، ولكن لو لم تكن له قدرة، لما كان معنى للأوامر والنواهي والثواب والعقاب.

## \* مذاهب المسلمين في القضاء والقدر \*

قسم العلماء الأفعال إلى قسمين:

- (١) أفعال اضطرارية: وهي التي لا قدرة للانسان ولا اختيار له فيها، كحركة ارتعاش اليد، وحركة الجهاز العصبي، والهضمي.  
وقد اتفقت الفرق الاسلامية جميعها على أنها مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد دخل فيها، فلا تكليف ولا ثواب ولا عقاب بها.
- (٢) أفعال اختيارية: وهي التي للانسان فيها قدرة واختيار كالسير والكلام ... وهذه هي محل الخلاف بين علماء الفرق الاسلامية الذين ذهبوا فيها مذاهب مختلفة وهي:

## أولاً: مذهب الجبرية:

اتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان الراسبي، وهؤلاء نفوا القدرة والاختيار والارادة عن الانسان. وقالوا: بأن الانسان مجبر على جميع أفعاله، فهو كالريشة في مهب الريح. وإن الله تعالى خلق في الانسان أفعاله بنوعها الاضطرارية والاختيارية التي يخيل إلى بعضهم أنها اختيارية، ونسبتها إلى الانسان على سبيل المجاز كما تنسب إلى الجمادات والنباتات، فتقول: تغذى النبات، وتحرك الحجر.

وقالوا: الثواب والعقاب جبر، والتكاليف الشرعية أيضاً جبر.

واستدلوا على قولهم بالنصوص الآتية التي تفيد الجبر.

(١) قوله تعالى: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [سورة التوبة: ٥١].

(٢) قوله تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} [سورة الصافات: ٩٦].

(٣) قول الرسول ﷺ: {الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره} (١).

ويمكن مناقشة استدلالهم هذا وكالاتي:

إن هذه النصوص يجب تأويلها كي تستقيم مع النصوص التي تعارضها، التي تثبت للعبد عملاً يستحق عليه العقاب والثواب والمدح والذم، لأن الله تعالى نفى الظلم عن نفسه، وأنه لا يحاسب إلا على العمل الذي اكتسبه العبد.

قال تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [سورة

النحل: ١١١].

وقولهم هذا يؤدي إلى أنه لا تكليف بالأوامر والنواهي، ولا معنى لإرسال الرسل، ولا فائدة من ترتب

الثواب على الطاعات، والعقاب على المعاصي.

## ثانياً: مذهب المعتزلة:

وهم يجمعون على أمور منها:

(١) أن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم الاختيارية، وليس لله تعالى صنع ولا تقدير فيها، لا بايجاد، ولا

نفي.

(٢) الله عالم أزلاً بأفعال خلقه، فلم يزل عالماً بمن سيؤمن وبمن سيكفر، وهذا يميزهم عن القدرية

الخالصة، اتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي - الذين أنكروا علم الله الأزلي، فأنه تعالى عندهم لا يعلم أفعال

الفرد إلا بعد وقوعها.

(٣) الانسان فاعل مختار، يعمل بالقدرة الحادثة التي منحها آياه العناية الالهية، فيوجهها حسبما يريد.

(٤) أمر الله تعالى وإرادته متلازمان.

فالله تعالى يردنا نوحده، وأن نؤمن برسله، ونقيم الصلاة ... ويأمرنا بذلك، ولا يريد منا المعاصي والكفر ولا يأمر به، وإنما هو من إرادة الانسان واختياره وفعله.

### واحتج المعتزلة بما يأتي:

لو كان الله تعالى خالقاً لأفعال العباد، والعباد لا اختيار لهم:

(١) لبطل التكليف الشرعي من الأوامر، والنواهي.

(٢) لبطل الثواب والعقاب.

(٣) لانتفت فائدة بعثة الأنبياء.

ويبدو أن استدلالهم بالأدلة السابقة لا يسلم لهم، وذلك للآتي:

أن أفعال العباد الاختيارية مخلوقة لله تعالى بدليل:

(١) قوله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا}.

(٢) وقوله تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}.

### ثالثاً: أهل السنة والجماعة (الأشاعرة):

اتباع أبي الحسن الأشعري (رحمه الله)، ويرون:

(١) أفعال الفرد الاختيارية مخلوقة لله تعالى، وليس للعبد تأثير في ايجادها، وإن الله تعالى يخلق فيه قدرة

على اصدار ذلك الفعل للعبد، فالفعل ابداع واحداث لله تعالى، وكسب للعبد.

والكسب هو اقتران قدرة العبد بفعل الله بمعنى:

ان الانسان إذا أراد أن يفعل فعلاً من الأفعال، فإن الله يخلق له في هذه اللحظة نفسها قدرة على هذا الفعل،

وهذه الأخيرة هي التي تكتسبه، لكنها لا تخلقه.

ورأي الأشاعرة هذا توسط بين الجبرية والمعتزلة، واستدلوا على صحة مذهبهم بما يأتي:

(١) قوله تعالى: {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا}.

(٢) وقوله تعالى: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}، والفعل من جملة الأشياء، فهو مخلوقة لله تعالى.

(٢) لو كان العبد موجداً لأفعاله بالاختيار والاستقلال، لوجب أن يعلم تفاصيلها، ويستحيل على الانسان أن يحيط

بجميع الفعل، إذا تصدر منه أفعال في غفلته وذهوله، وهي على الانسجام والانتظام وصفة الإتقان والاحكام،

والعبد غير عالم بما يصدر منه، فوجب أن يكون مصدر ذلك هو الله تعالى.